في ذكرى مئوية ميلاد الإمام الشهيد حسن البنا

معالم المشروع الحضاري في فكر الإمام الشهيد حسن البنا

(١٣٢٤-١٣٦٨هـ-١٩٠٦-١٩٤٩م)

دكتور محمد عمارة

دكتور محمد عمارة

معالم المشروع الحضارى فى فكر

الإمام الشهيد حسن البنا

[١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م]

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بطاقة الفهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
ادارة الشئون الفنية

عمارة، محمد.
معالم المشروع الحضاري في فكر الامام الشهيد حسن البنا، (١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ، ١٩٠٦ - ١٩٤٩م)/ محمد عمارة.-ط١.- القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦.
٨٠ ص: ٢٠سم.
تدمك: ٩ ٧٧٥ ٢٦٥ ٩٧٧
١- الإسلام - تراجم. ٢- البنا، حسن، ١٩٠٦ - ١٩٤٩.
٣- العلماء المسلمون. ٤- الاخوان المسلمون.
أ- العنوان ٩٢٢،١

رقم الايداع: ٢٠٠٦/٢٢٢٤٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N
977 - 265 - 775 - 9

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب: ١٦٣٩
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٢٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

[١]

بطاقة حياة

* هو حسن أحمد عبد الرحمن البنا [١٣٢٤- ١٣٦٨هـ ١٩٠٦- ١٩٤٩م].

* ولد ونشأ في أسرة ريفية بسيطة، تحترف الزراعة بقرية «المحمودية»، مركز «فوه»، بالقرب من «رشيد» -بدلتا النيل- محافظة «كفر الشيخ» حاليًا.

* وكان والده -أحمد -قد سلك- بناء على رغبة والدته- طريق التعليم الديني، بدلا من فلاحة الأرض.. فحفظ القرآن الكريم.. ثم التحق بجامع إبراهيم باشا -بالإسكندرية- فدرس فيه منهاج التعليم الأزهري.. ثم امتهن -لتحصيل العيش- مهنة إصلاح الساعات، في محل الحاج محمد سلطان الذي كان عالما صالحا، وعضوا بجمعية العروة الوثقى، -التي كان جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤- ١٣١٤هـ ١٨٣٨- ١٨٩٧م] رئيسا لها.. والشيخ محمد عبده [١٢٦٥- ١٣٢٣هـ ١٨٤٩- ١٩٠٥م] نائب رئيسها- ولذلك، كان محل إصلاح الساعات هذا -حيث عمل الوالد- ملتقى عدد كبير من العلماء والوجهاء، الذين عايشهم وسمع منهم وتأثر بهم والد حسن البنا..

* وبعد فراغ والده -أحمد- من تحصيل العلم بجامع إبراهيم باشا،

وبعد إتقان الصنعة -إصلاح الساعات- عاد إلى قريته "الشمشيرة"، فتزوج.. ثم انتقل بزوجه ووالده -عبد الرحمن- إلى مدينة "المحمودية" -بمحافظة البحيرة- مشتغلاً بصنعة إصلاح الساعات.. ومواصلاً الاشتغال بالعلم، وخاصة علم الحديث النبوى الشريف.. كما عمل مأذونًا شرعيًا.. ومارس الخطابة فى مساجد المحمودية.

* وفى عام انتقال الوالد -أحمد- إلى مدينة المحمودية ولد له ابنه البكر حسن -فى يوم الأحد ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٤هـ- ١٤ أكتوبر سنة ١٩٠٦م..

* ولأن والده -أحمد- قد احتضن كل مسانيد الحديث النبوى الشريف.. وجميع مذاهب الفقه الإسلامى، فلقد وجه ابنه حسن لدراسة الفقه على المذهب الحنفى.. ووجه أخاه الثانى -عبد الرحمن- للدراسة على المذهب المالكى.. وأخاه الثالث -محمد- للدراسة على المذهب الحنبلى.. وأخاه الرابع -جمال- للدراسة على المذهب الشافعى.. فنشأ حسن البنا فى أسرة تحتضن وتعتز بجماع تراث الإسلام..

* ولقد تعلم حسن البنا من والده حرفة إصلاح الساعات، ومارسها.. كما تعلم حرفة تجليد الكتب، ومارسها.. وذلك سيرًا على سنة العلماء -التى سلكها والده- فى التعيش من الحرف والصنائع، ليكون علمهم مبذولاً لوجه الله وخدمة الناس..

* وفى مدينة المحمودية.. وبعد مرحلة التعليم فى الكتاتيب، التحق بمدرسة الرشاد الدينية لمدة أربع سنوات -بين الثامنة والثانية عشرة من

عمره- [١٣٣٣هـ ١٩١٥م- ١٣٣٨هـ ١٩٢٠م].. وكان صاحب هذه المدرسة -الشيخ محمد محمد زهران- على حظ من العلم والثقافة، يصدر مجلة دينية لغوية أدبية اجتماعية اسمها «السعادة»..

* ثم التحق حسن البنا بالمدرسة الإعدادية.. التي بدأ ينشط فيها، فرأس «جمعية الأخلاق الأدبية».. كما التحق -عضوًا- بجمعية «منع المحرمات» -السرية- التي كونها مع بعض أقرانه..

* وبعد المدرسة الإعدادية التحق بمدرسة المعلمين بدمنهور.. وفيها انخرط في «الطريقة الحصافية»، وبايع شيخها السيد عبد الوهاب الحصافي -في ٤ رمضان سنة ١٣٤١هـ ٢٠ أبريل سنة ١٩٢٣م- وواظب على «حلقة ذكرها».. وكانت هذه الطريقة الصوفية -الحصافية- من أكثر الطرق بعدًا عن البدع والخرافات، ومن أقربها إلى الالتزام بالشريعة، والاهتمام بمناهج الإصلاح الخلقي والاجتماعي..

* وأثناء تنقلاته بين دمنهور والمحمودية لاحظ نشاط الجماعات والإرساليات التنصيرية الإنجيلية، التي دخلت مصر في ركاب الاستعمار الإنجليزي، وبدعم من الكنيسة الأمريكية.. والتي اتخذت تبشر بالمسيحية في ظل التطبيب وإيواء الصبية وتعليم التطريز..«٩».

فقام -مع عدد من زملائه- بتأسيس «الجمعية الحصافية الخيرية»، وانتخب سكرتيرًا لها. واتخذت هذه الجمعية تمارس الدعوة إلى الأخلاق، ومقاومة المنكرات.. ومحاربة الإرساليات التبشيرية الإنجيلية.

* وعندما قامت ثورة مصر الكبرى [١٣٣٧هـ ١٩١٩م] [كانت سن تفتح وعيه الوطني ونضجه السياسي.. فشارك في مظاهرات الثورة - وكانت سنه إبان الثورة بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة.. وعندما قاطع الشعب المصري - أثناء الثورة - لجنة "ملنر" - الإنجليزية - نظم حسن البنا في ذلك شعرا، جاء فيه

يا ملنر ارجع ثم سل ... وفدا بباريس أقام
وارجع لقومك قل لهم ... لا تخدعوهم يا لئام

* وإبان تلك الثورة، توفي - بالمنفى - الزعيم الوطني المجاهد محمد بك فريد [١٢٨٤- ١٣٣٨هـ ١٨٦٨- ١٩١٩م] - زعيم الحزب الوطني - فهز نبأ وفاته حسن البنا، فنظم في ذلك قصيدة مطلعها:

أفريد نم بالأمن والإيمان ... أفريد لا تجزع على الأوطان

* وبعد مرحلة مدرسة المعلمين - بدمنهور - انتقلت الأسرة إلى القاهرة، لتكون بجوار ابنها البكر حسن البنا، ليلتحق بدار العلوم - في العام الدراسي ١٩٢٣م/ ١٩٢٤م.

* وفي دار العلوم تتلمذ حسن البنا على عدد من علماء ذلك العصر.. وكان من بين الأساتذة الذين تأثر بهم الشيخ أحمد بدير [١٢٩٥- ١٣٤٧هـ ١٨٧٨- ١٩٢٩م]، الذي كان قد تتلمذ على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

* وفي القاهرة - وهو طالب بدار العلوم - عايش زلازل:

- سقوط الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤م.

- وصدور عدد من الكتب التي صادمت ثوابت الإسلام.

- كما صدمته عواصف التغريب الفكري والانحلال الخلقي، التي كانت غريبة عن المجتمع المحافظ الذي ألفه وخلفه في الريف، وفي المدن شبه الريفية -المحمودية.. ودمنهور- فلقد وجد "الكثير من مظاهر التحلل والبعد عن الأخلاق الإسلامية في كثير من الأماكن التي لا عهد له بها في الريف المصري.. وظهرت كتب وجرائد ومجلات كل ما فيها ينضح بهذا التفكير الذي لا هدف له إلا إضعاف أثر أي دين أو القضاء عليه في نفوس الشعب"[١].

* وإلى جانب الآلام الذاتية التي عاشها من هذا الذي رآه وقرأه بالقاهرة.. أخذ يفكر في مصير الأمة التي أراد الأعداء دفعها إلى هذا المصير.. وبعبارته: "كنت متألما أشد الألم، فها أنذا أرى الأمة المصرية العزيزة تتأرجح حياتها الاجتماعية بين إسلامها العزيز الغالي، الذي ورثته وحمته وألفته وعاشت به واعتز بها أربعة عشر قرنا كاملة، وبين هذا الغزو الغربي العنيف المسلح المجهز بكل الأسلحة الماضية الفتاكة من المال والجاه، والمظهر والمتعة والقوة ووسائل الدعاية. وكنت أنفّس عن نفسي بعض الشيء بالإفضاء بهذا الشعور إلى كثير من الأصدقاء الخلصاء من زملائنا الطلاب بدار العلوم والأزهر والمعاهد الأخرى"[٢].

* وكانت المكتبة السلفية -لصاحبها العالم المجاهد محب الدين الخطيب [٣-١٣- ١٣٨٩هـ ١٨٨٦- ١٩٦٩م]- مكان شكواه ومنتدى

محاوراته مع العديد من العلماء والطلاب.. وكذلك كانت دار مجلة [المنار].. لصاحبها العالم المجاهد الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢- ١٣٥٤هـ ١٨٦٥- ١٩٣٥م].. والتى كان يفد إليها العديد من تلاميذ الأفغانى ومحمد عبده..

* وعندما كان يهم بمغادرة مقاعد الدراسة بدار العلوم، ويدلف إلى ميادين الحياة العامة، أعلن عن «آماله.. وخطته».. وذلك عندما كتب فى امتحان مادة «الإنشاء»، جوابا على سؤال أستاذه أحمد يوسف نجاتى:

- «اشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك، وبيّن الوسائل التى تعدها لتحقيقها..».

.. فكانت إجابة حسن البنا -فى «ورقة الإجابة»- تقول:

«إن أعظم آمالى بعد إتمام حياتى الدراسية أملان:

١- خاص: وهو إسعاد أسرتى وقرابتى.

٢- وعام: وهو أن أكون مرشداً معلمًا، إذا قضيت فى تعليم الأبناء سحابة النهار، قضيت ليلى فى تعليم الآباء هدف دينهم ومنابع سعادتهم . تارة بالخطابة والمحاورة، وأخرى بالتأليف والكتابة، والثالثة بالتجول والسياحة.

وقد أعددت لتحقيق الأول: معرفة بالجميل.

ولتحقيق الثانى، من الوسائل الخلقية: «الثبات والتضحية»، وهما ألزم للمصلح من ظله، وسر نجاحه كله.. ومن الوسائل العملية: درسًا

طويلاً، سأحاول أن تشهد لي به الأوراق الرسمية، وتعرفا بالذين يعتقون هذا المبدأ أو يعطفون على أهله، وحسبما تعوّد الخشونة على ضآلته، وألف المشقة على نحافته، ووفيا بعتها لله صفقة رابحة، راجيًا منه قبولها، سائله إتمامها..

ذلك عهد بيني وبين ربي، أسجله على نفسي، وأشهد عليه أستاذي في وحدة لا يؤثر فيها إلا الضمير..».

فكان العهد.. والصفقة.. والمبايعة.. التي كانت أربح صفقات القرن الرابع عشر الهجري!..

* لقد تخرج حسن البنا من دار العلوم.. وحصل على دبلومها سنة [١٣٤٦هـ سنة ١٩٢٧م] -ولم يكن قد أتم بوعد عامه الواحد والعشرين.. وكان ترتيبه الأول على دفعته.. ولقد رشح للسفر إلى باريس للدراسات العليا.. لكنه تنازل عن حقه في الابتعاث، مفضلاً البقاء بمصر للعمل على تحقيق الأهداف التي حددها لنفسه في هذه الحياة..

* ولقد عين مدرسًا بإحدى المدارس الابتدائية بمدينة الإسماعيلية في سبتمبر سنة ١٩٢٧ -ربيع أول سنة ١٣٤٦هـ- وفي الإسماعيلية رأى من «الحوافز» المستفزة أكثر مما رآه في القاهرة.. رأى نماذج الاحتلال والاستغلال الأجنبي مجسدة أمام سمعه وبصره.. ورأى التغريب الثقافي والاجتماعي يتحدى هوية الأمة وكرامتها!

«فهذا المعسكر الإنجليزي في غربها ببأسه وسلطانه، يبعث في نفس كل وطني غيور الأسى والأسف، ويدفعه دفعًا إلى مراجعة هذا الاحتلال

المقيض، وما جره على مصر من نكبات جسام. وهذا المكتب الأنيق الفخم، مكتب إدارة شركة.. قناة السويس في سلطانه وسطوته، واستخدامه للمصريين ومعاملته إياهم معاملة الأتباع المضطهدين. وإكرامه للأجانب ورفعه إياهم إلى مرتبة السادة والحاكمين.

وهذه المنازل الفخمة المنتشرة في حي الإفرنج بأكمله. ويسكنها موظفو الشركة الأجانب. وتقابلها مساكن العمال العرب في ضآلتها وصغر شأنها.

والشوارع كلها تحمل لوحات لم تكتب إلا بلغة هذا الاحتلال الجاثم على صدورها، حتى شارع المسجد كان مكتوبا هكذا Rue Du Mos-quee..!!

* وفي الإسماعيلية.. وفي هذا المناخ، وتلك الملابسات.. قرر تأسيس [جماعة الإخوان المسلمين].. وتوجه بدعوته إلى مختلف شرائح الأمة وقادة الرأي فيها:

- إلى العلماء أولاً..
- وشيوخ الطرق ثانيا..
- والأعيان ثالثا..
- والأندية رابعا..

وكان أول المستجيبين لدعوته ستة رجال، جميعهم من العمال الحرفيين.. فأسس بهم الجماعة في ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ - أبريل/ مايو سنة ١٩٢٨م..

* وكان للمرأة -منذ البداية- نصيب في الدعوة.. فأسس حسن البنا -بالإسماعيلية- "معهد أمهات المؤمنين" لتربية البنات تربية إسلامية صالحة.. كما أنشأ -بالجماعة- "قسم الأخوات المسلمات".

* ومن الإسماعيلية انتشرت الدعوة وتنظيمات الجماعة و"شعبها" إلى مدن مصر وقراها.. وتخطت حدود مصر إلى مختلف أنحاء عالم الإسلام.. بل وإلى مواطن الجاليات الإسلامية خارج عالم الإسلام.

* وفي سبيل الدعوة والجماعة زار الأستاذ البنا ثلاثة آلاف قرية مصرية -من بين قرى مصر البالغ عددها يومئذ أربعة آلاف-!! .. وذلك عبر المدن، الكبير منها والصغير.

* وعبر الخطابة -التي لم يكن يُجارى فيها- كانت الصحافة ميدانًا للدعوة. فأصدر من المجلات والصحف:

١- مجلة [المنار] الشهرية

٢- ومجلة [الشهاب] الشهرية.

٣- ومجلة [النذير] الأسبوعية.

٤- ومجلة [التعارف] الأسبوعية.

٥- ومجلة [الكشكول الجديد].

٦- وجريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية.

٧- وجريدة الإخوان المسلمين نصف الشهرية.

٨- وجريدة الإخوان المسلمين اليومية.

* ولقد رشح نفسه للانتخابات البرلمانية مرتين -بدائرة الإسماعيلية- : الأولى في انتخابات سنة ١٩٤٢م.. ثم تنازل عن الترشيح بطلب من الحكومة، بناء على ضغط وتهديد من المحتلين الإنجليز.. والثانية في انتخابات سنة ١٩٤٤/ ١٩٤٥م...

* وكان الأستاذ البنا وجماعته في طليعة القوى التي وعت خطورة القضية الفلسطينية، وجاهدت في سبيلها منذ الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦م. فرفعوا شعارات الجهاد لإنقاذ فلسطين من المخطط الصليبي الصهيوني.. كما كانوا في طليعة الذين أعدوا العدة للجهاد المسلح.. وخاضوا معاركه على أرض فلسطين سنة ١٩٤٧/ ١٩٤٨م.. قبل وبعد دخول الجيوش العربية إلى أرض فلسطين في مايو سنة ١٩٤٨م.

* وفي مايو سنة ١٩٤٦م جماد ثان ١٣٦٥هـ.. استقال حسن البنا من وظيفة مدرس ابتدائي.. بعدما يقرب من تسعة عشر عاما قضاها في التدريس.. ويومها كان قد بلغ «الدرجة الخامسة» [!!!] بحكم «قانون الموظفين المنسيين»!!!..

* وبضغط من الاستعمار.. وخوفا من قوة الجماعة.. وخاصة بعد تجربتها الجهادية في فلسطين.. صدر الأمر العسكري بحل الجماعة في ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨م - صفر ١٣٦٨هـ.. وكان عدد أعضائها يومئذ نصف مليون عضو.. معهم من الأعضاء المؤازرين أضعاف هذا العدد.. ولها من «الشعب» المنتشرة في مصر ما يزيد على ٢٠٠٠ شعبة!..

* وتسارعت الأحداث.. واغتيل الأستاذ الإمام الشيخ حسن البنا -بالقاهرة- في ١٢ فبراير ١٩٤٩م -ربيع ثان سنة ١٣٦٨هـ.. فصعدت روح هذا الرجل الملهم المبارك إلى بارئها، بعد أن بذر البذرة التي أنبتت الشجرة الطيبة، التي امتدت أغصانها وأوراقها وثمراتها إلى كل أنحاء الكوكب الذي نعيش فيه.. والتي بارك الله فيها كما لم يبارك في بذرة من البذور الكثيرة التي بذرت في ذلك التاريخ!..

* أما الثقافة التي صنعت هذا العقل المتفرد.. وصاغت هذا المشروع الإصلاحي، فإنها كانت مزيجًا من:

١- فقه القرآن الكريم..

٢- وفقه الهدي النبوي الشريف -حديثا وسيرة وخلقا-..

٣- وفقه الواقع المعاصر والمعيش -مصريا.. وعربيا.. وإسلاميا.. وعالميا-..

٤- والتصوف الشرعي، البريء من البدع والخرافات.. والذي أخذه عن الطريقة الحصافية، التي تأثر بشيخها السيد حسنين الحصافي، وقال عنه:

«وكان أعظم ما أخذ بمجامع قلبي وملك على لبي من سيرة الشيخ الحصافي -رضي الله عنه- شدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه كان لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يدع الأمر والنهي مهما كان في حضرة كبير أو عظيم»..

٥- والسلفية التجديدية الواعية التي أخذها عن الأستاذ محب الدين الخطيب..

٦- والعقلانية المؤمنة التي تشبع بها من المدرسة الإحيائية الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني.. ومحمد عبده.. ورشيد رضا..

٧- والمعارف العامة والإنسانية، التي رآها «حكمة» هي ضالة المؤمن، أنّى وجدها فهو أحق الناس بها..

* * *

* ومن كلماته الجامعة.. وذات المغزى..

١- عن الإسلام الثورة:

«إن الإسلام ثورة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.. يزلزل الأوضاع الفاسدة، ويحطم صروح البغي والعدوان الشامخة، ويجدد معالم الحياة وأوضاعها، ويقيمها على أثبت الدعائم..

إنه ثورة على الجهل.. وثورة على الظلم بكل صنوفه: ظلم الحاكم للمحكوم.. وظلم الغني للفقير.. وظلم القوي للضعيف..

وثورة على الضعف بكل مظاهره ونواحيه: ضعف النفوس بالشح والإثم.. وضعف الرؤوس بالعته والعقم.. وضعف الأبدان بالشهوات والسقم..».

* * *

٢- وعن تحرير مصر:

«أيها المصري أيتها المصرية، أيها الشرقي أيتها الشرقية، علموا أولادكم منذ نعومة أظفارهم أن يكرهوا وأن يمقتوا وأن يلعنوا الإمبراطورية البريطانية، كما يعلم الآباء الإنجليز أبناءهم أن يحبوا إمبراطوريتهم».

تصرفوا بطريقة تجعل على الإنجليز أن يواجهوا قلوبا تكرههم وألسنة تلعنهم وأيادي تذبحهم... وإنه لا باب للحرية سوى باب العداء الصريح لبريطانيا، والإعداد الكامل والجهاد الواثب، ومرحبا به ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون[١].

❁ ❁ ❁

٣- وعن إنقاذ فلسطين:

«إن فلسطين هي قلب الشرق النابض، وموطن مقدسات مسلميه ومسيحييه على السواء».

وإن الشعب الفلسطيني هو من سلالة الصحابة الفاتحين... وإن ثرى فلسطين قد روي بدماء عشرات الآلاف من صحابة نبينا محمد ﷺ

وإن قضية فلسطين هي قضية العالم الإسلامي بأسره، وهي ميزان كرامته، ومقياس هيبته وقوته».

وإن اليهود في فلسطين خطر داهم على سياسة الشرق العامة، ومطامعهم في الوطن القومي غير محصورة، فهم لا يقتصرون على فلسطين، ولكنهم سيتخطون الأرض من كل جانب، وهم خطر على

* وعندما سئل هذا الرجل الربانى الملهم، الذى كان من أبرز مجددى الإسلام فى القرن الرابع عشر الهجرى -العشرين الميلادى.. والذى أكرمه الله فاستجاب دعوته، ورزقه كرامة الاستشهاد فى سبيله-.. عندما سئل:

- من أنت؟؟

كان جوابه: «أنا:

* سائح يطلب الحقيقة..

* وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس..

* ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار والحياة الطيبة فى ظل الإسلام الحنيف..

* ومتجرد أدرك سر وجوده، فنادى. إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين».

* * *

تلك السطور -مجرد سطور- من «بطاقة حياة» هذا الإمام الشهيد -عليه رحمة الله- (١).

---

(١) انظر فى ذلك: حسن البنا [مذكرات الدعوة والداعية] طبعة القاهرة -دار الشهاب- بدون تاريخ. ود. إبراهيم البيومى غانم [الفكر السياسى للإمام حسن البنا] طبعة القاهرة -دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م. والزركلى -خير الدين- [الاعلام] طبعة بيروت الثالثة. ومحمد عبد الجواد [تقويم دار العلوم] المجلد الأول. طبعة القاهرة سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م. ود. محمد عمارة [الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى] طبعة القاهرة -دار الشروق- سنة ١٩٩١م.

[٢]

التأسيس لليقظة الإسلامية الحديثة

على امتداد أوطان الأمة الإسلامية - من «غانة» - غربًا - إلى «فرغانة» - شرقًا.. ومن حوض «نهر الفولجا» - في «الشمال - إلى جنوبي «خط الاستواء».. بل وفي مواطن الأقليات الإسلامية خارج عالم الإسلام - .. إذا نظر الباحث المنصف إلى ظواهر البعث والإحياء والنهضة والتجديد والإصلاح، ومشروعاتها الحضارية النهضوية، وحركاتها وتنظيماتها.. فسيجد أن ظاهرة الصحوة الإسلامية، ومشروعها الحضاري، هي أقوى وأكبر وأخطر وأعمق ظواهر العصر الذي نعيش فيه.. يستوي في ذلك التقييم، والتسليم بتلك الحقيقة، الباحثون المؤيدون أو المناوئون لهذا المشروع وتلك الحركات!..

والحقيقة الثانية: التي لن تجد عليها خلافًا بين الباحثين، ولا بين حركات هذه الصحوة الإسلامية المعاصرة وتياراتها، هي الأبوة والأمانة والريادة التي يمثلها الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] بالنسبة لهذه الظاهرة الكبرى - التي تمثل أمل النهضة لدى الإسلاميين.. ومصدر القلق المزعج والمخيف لأعداء الإسلام والمسلمين!..

أما الحقيقة الثالثة: في هذا المقام - فهي أن أبوة حسن البنا وإمامته وريادته لهذا الإحياء الإسلامي المعاصر، إنما تمثل «الحلقة المعاصرة» في

سلسلة حلقات هذا الإحياء الإسلامى الحديث.. إنها مرحلة متميزة فى «الكم» و «الكيف».. ولكنها امتداد متطور لمرحلة «النشأة» و«التبلور»، التى تمثلت فى حركة «الجامعة الإسلامية»، التى ارتاد ميدانها ورفع أعلامها رائد الإحياء الإسلامى فى العصر الحديث: فيلسوف الإسلام وموقظ الشرق جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م].. والتى كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] المهندس الأول لتجديدها الفكرى.. كما مثل الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥م] الامتداد، الذى حمل رسالتها - عبر مجلة [المنار]- إلى العالم الإسلامى على امتداد أربعين عامًا [١٣١٥ - ١٨٩٨م/ ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م].. ثم أسلم أمانتها إلى الشيخ حسن البنا..

* الذى واصل إصدار [المنار] لعدة سنوات..

* والذى أخذ فى تفسير القرآن الكريم من حيث انتهى رشيد رضا.. الذى سبق وواصل تفسيره من حيث انتهى محمد عبده..

* والذى حافظ -فى البرنامج التثقيفى لجماعته- على تدريس كتب: [رسالة التوحيد] و [الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية] -للإمام محمد عبده- و [طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد] - لعبد الرحمن الكواكبى [١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ ١٨٥٤ - ١٩٠٢م]..

وذلك لتأكيد قسمة «التواصل» و«الامتداد».. مع «التطور» الذى

انتقلت به الظاهرة الإحيائية والتجديدية -على يديه- إلى «الكيف» الجديد والمعاصر، الذي استجاب ويستجيب لمتغيرات الواقع.. والتحديات..

* * *

لقد بدأ المشروع الحضاري الإسلامي، على يد الأفغاني، حركة تجديد واجتهاد وإحياء، تستهدف تحرير العقل المسلم من أغلال الجمود والتقليد، ليواجه ويتجاوز التخلف الموروث عن الحقبة «المملوكية - العثمانية»، وليتمكن من مواجهة التحدي الحضاري الغربي، الذي اقتحم حياتنا الفكرية وواقعنا الإسلامي في ركاب الغزوة الاستعمارية الأوروبية الحديثة.. وبعبارة الإمام محمد عبده: فلقد «وجه الأفغاني عنايته لحل عقد الأوهام عن قوائم العقول.. أما مقصده السياسي فهو إنهاض دولة إسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شئونها، حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة، والدولة بالدول القوية فيعود للإسلام شأنه وللدين الحنيفي مجده..»[1]

ولأن المشروع الحضاري الغربي - الغازي - كان وضعيا علمانيا لا دينيا.. فلقد كان شعار هذه اليقظة الإسلامية الحديثة: «الإصلاح بالإسلام»، ليتميز مشروعها عن هذا المشروع الغربي.. ولكي تعود الأمة لمواصلة نهضتها الحديثة، انطلاقا من الأصول الإسلامية الجوهرية والنقية، التي صنعت نهضتها الأولى.. فتتجاوز بذلك مرحلة تراجعها

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، جـ٢ ص ٣٤٦، ٣٤٣. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

الحضارى، وتنجو من المسخ والنسخ والتشويه الذى يريده لها الغرب الاستعمارى..

ولذلك، حدد الأفغانى ومحمد عبده «المحتوى الفكرى» «الحركة الجامعة الإسلامية» عندما قال الأول:

«إن الدين هو قوام الأمم، وبه فلاحها، وفيه سعادتها.. وهو السبب المفرد لسعادة الإنسان.. فهو يذهب بمعتقديه إلى جواد الكمال الصورى والمعنوى، ويصعد بهم إلى ذروة الفضل الظاهرى والباطنى، ويرفع أعلام المدنية لطلابها، بل يفيض على المتدين من ديم الكمال العقلى والنفسى ما يظفرهم بسعادة الدارين..

أرسل فكرك إلى نشأة الأمة، التى خملت بعد نباهة، واطلب سبب نهوضها الأول.. إنه دين قويم الأصول، محكم القواعد، شامل لأنواع الحكم، باعث على الألفة، داع إلى المحبة، مزك للنفوس، مطهر للقلوب من أدران الخسائس، منور للعقول بإشراق الحق من مطالع قضاياه، كافل لكل ما يحتاج إليه الإنسان من مبانى الاجتماعات البشرية، وحافظ وجودها، وينادى بمعتقديه إلى جميع فروع المدنية.

فإن كانت هذه شرعة تلك الأمة، وبها وردت، وعنها صدرت، فما نراه من عارض خللها، وهبوطها عن مكانتها، إنما يكون عن طرح تلك الأصول ونبذها ظهريا.. فعلاجها الناجع إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها، والأخذ بأحكامه على ما كان فى بدايته..

ولا سبيل لليأس والقنوط، فإن جراثيم - [أصول] - الدين متأصلة في النفوس.. والقلوب مطمئنة إليه، وفي زواياها نور خفي من محبته، فلا يحتاج القائم بإحياء الأمة إلا إلى نفخة واحدة يسرى نفسها في جميع الأرواح لأقرب وقت.. فإذا قاموا، وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم، فلا يعجزهم أن يبلغوا في سيرهم منتهى الكمال الإنساني.

ومن طلب إصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه، فقد ركب بها شططا، وجعل النهاية بداية، وانعكست التربية، وانعكس فيها نظام الوجود، فينعكس عليه القصد، ولا يزيد الأمة إلا نحسا، ولا يكسبها إلا تعسا..

ودونك تاريخ الأمة العربية.. وما كانت عليه قبل الإسلام من الهمجية.. حتى جاءها الدين فوحدها، وقواها، ونور عقلها، وقوم أخلاقها، وسدد أحكامها، فسادت على العالم..»(١).

هكذا أعلن الأفغاني «**البيان الإسلامي**» لليقظة الإسلامية الحديثة.. ثم واصل الإمام محمد عبده السير على هذا الطريق، بإلحاح على تزكية شعار «الإصلاح بالإسلام».. فقال - ناقدًا للمدنية الغربية:

«إنها مدنية المُلْك والسلطان، مدنية الذهب والفضة»، مدنية الفخفخة والبهرج، مدنية الختل والنفاق، وحاكمها الأعلى هو «الجنيه» عند قوم، و«الليرا» عند قوم آخرين، ولا دخل للإنجيل في شيء من ذلك!!

(١) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] ص ١٣١، ١٤١، ١٧٣، ١٩٧ - ١٩٩ دراسة وتحقيق. د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

وممزكيًا للإسلام فكرته لليقظة الإسلامية والمشروع النهضوى الإسلامى، لأنه دين الوسطية الجامعة.. فقال:

«لقد ظهر الإسلام، لا روحيا مجردا، ولا جسدانيا جامدا، بل إنسانيا وسطا بين ذلك، آخذا من كلا القبيلين بنصيب، فتوافر له من ملاءمة الفطرة البشرية، ما لم يتوافر لغيره، ولذلك سمى نفسه دين الفطرة، وعرف له ذلك خصومه اليوم، وعدوه المدرسة الأولى التى يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية..

لقد جاء الإسلام كمالا للشخص، وألفة فى البيت، ونظاما للملك، امتازت به الأمم التى دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه».

ثم تحدث الإمام محمد عبده عن الإسلام كسبيل مفرد للتقدم والنهوض والإصلاح، فقال:

«إن أهل مصر قوم أذكياء.. يغلب عليهم لين الطباع، واشتداد القابلية للتأثر. لكنهم حفظوا القاعدة الطبيعية، وهى: أن البذرة لا تنبت فى أرض إلا إذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض، ويتنفس بهوائها، وإلا ماتت البذرة، بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها، ولا على البذرة وصحتها، وإنما العيب على الباذر!

أنفس المصريين أشربت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعا فيها، فكل من طلب إصلاحيا من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للتربة التى أودعه فيها، فلا ينبت، ويضيع تعبه، ويخفق سعيه. وأكبر شاهد

على ذلك ما شوهد من أثر التربية التي يسمونها أدبية من عهد محمد علي [١١٨٤ - ١٢٦٥هـ ١٧٧٠ - ١٨٤٩م] إلى اليوم.. فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فسادا -وإن قيل إن لهم شيئا من المعلومات- فما لم تكن معارفهم وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم

إن سبيل الدين لمريد الإصلاح في المسلمين سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين، يحوجه إلى إنشاء بناء جديد، ليس عنده من مواده شيء، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا..

وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس في غيره، وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!"[1]

* * *

هكذا تم التأسيس.. وحدث الاختيار.. وأعلن الانحياز إلى خيار "الإصلاح بالإسلام"، كمحتوى فكري لحركة الجامعة الإسلامية..

وتم -كذلك- ترتيب الأولويات بين ميادين الإصلاح.. إصلاح الأصول قبل الفروع.. والبدء بالتربية، وإصلاح مناهج الفكر، وتنقية الاعتقاد مما شابه من الخرافات والبدع، والتركيز على المؤسسات التي

---

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٣ ص ١٠٩، ٢٣٣.

تصوغ العقل المسلم والوجدان الإسلامي.. وتقديم الأمة على الدولة، وأصول التربية على فروع السياسة.

وبعبارة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي [١٣٠٦ - ١٣٨٥هـ ١٨٨٩ - ١٩٦٥م]:

«فإن السياسة لباب وقشور، وإن سياسة التربية هي الأصل لتربية السياسة -التي هي الفروع- والأصول مقدمة على الفروع.. ولباب السياسة، بمعناها العام، وعند جميع العقلاء، هو عبارة واحدة:

إيجاد الأمة، ولا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوماتها من: جنس، ولغة، ودين، وتقاليد صحيحة، وعادات صالحة، وفضائل جنسية أصيلة.. فوجود تلك المقومات شرط لوجودها، وإذا انعدم الشرط انعدم المشروط، ثم يفيض على الأمة من مجموع تلك الحالات إلهام لا يُغالب ولا يُرد بأن تلك المقومات متى اجتمعت تلاقحت، ومتى تلاقحت ولدت «وطنًا»..»[1].

فالآمال في الإصلاح والنهوض إنما تُعلَّق على الأمة، قبل الملوك والأمراء..

وإعلانًا عن هذا المنهاج في الإصلاح.. قال الإمام محمد عبده:

«لقد ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين:

---

(١) [آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي] جـ٥ ص ١٩٥. تقديم. د. أحمد طالب الإبراهيمي. طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م.

الأول: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه.. لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنه على هذا الوجه يعد صديقًا للعلم، باعثًا على البحث في أسرار الكون، داعيًا إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالبًا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل.

كل هذا أعده أمرًا واحدًا. وقد خالفت فيه رأى الفئتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب فنون العصر ومن هو في ناحيتهم.

أما الأمر الثاني: فهو إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير..»[1].

* * *

هكذا تم التأسيس لفكر حركة الجامعة الإسلامية، وتيار اليقظة الإسلامية الحديثة.. الإصلاح بالإسلام وتقديم الأصول على الفروع -في أولويات الإصلاح- والسلفية التجديدية، التي تعود -في الدين- إلى المنابع الجوهر والنقية- لتجدد دنيا المسلمين بهذا الدين المتجدد أبدًا.. والذي غدا التجديد فيه سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل، وليس مجرد حق من حقوق الفكر والمفكرين!..

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده؛ جـ٢ ص ٣١٨.

وعلى امتداد ما يقرب من أربعين عامًا [١٣١٥ - ١٨٩٨م/ ١٣٥٤ - ١٩٣٥م] كانت مدرسة [المنار] - التي قادها الشيخ محمد رشيد رضا - هي ترجمان هذا التيار التجديدي الإحيائي، الذي وضع الأسس والمعالم للمشروع الحضاري الإسلامي، والذي كوَّن "العقل - المصري - للنخبة - كما تمثلت في تنظيماته - وأبرزها تنظيم [جمعية العروة الوثقى] - التي كونها ورأسها جمال الدين الأفغاني.. والتي كان محمد عبده نائب الرئيس فيها، وواضع مقرراتها.. ورئيس تحرير جريدتها، التي حملت اسمها..

* * *

[٢]

تصاعد التحدى.. وعموم البلوى

فى أوائل القرن العشرين حذّر الإمام محمد عبده من العواقب الوخيمة لصراع «العرب» مع «الأتراك»، لأن: «هذان الشعبان هما أقوى شعوب الإسلام... ودول أوروبة واقفة لهما بالمرصاد... فإذا وقعت قرابتهما فى الصراع، وثبت دول أوروبة، فاستولوا على الفريقين، أو على أضعفهما... فتكون العاقبة إضعاف الإسلام وقطع الطريق على حياته...»[١].

وبعد خمسة عشر عامًا من هذا التحذير - النبوءة!! وقع المحظور.. وبدأ عموم البلوى يخيم على سائر بلاد الإسلام..

* فالشريف حسين بن على [١٢٧٢ - ١٣٥٠هـ ١٨٥٦ - ١٩٣١م] -أمير مكة- ثار على الدولة العثمانية [سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م] استجابة لعوامل داخلية، ومدفوعًا - فى الأساس - بالوعود الإنجليزية!.. ففُتحت فى جدار دولة الإسلام الكبرى الثغرة التى أفضت إلى تنفيذ الغرب لمعاهدة «سيكس - بيكو» -السرية- التى عقدتها إنجلترا وفرنسا [سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م] لتقسيم ولايات الدولة العثمانية بين أقطاب التحالف الاستعمارى الغربى.. ولوعد «بلفور» [١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م] بإقامة الكيان الصهيونى.. قاعدة استعمارية غربية.. على أرض فلسطين..

(١) المصدر السابق، جـ١ ص ٧٣٥

وعقب ذلك، احتل الفرنسيون الشام، وقال قائدهم «جورو» [١٨٦٧هـ - ١٩٤٦م] أمام قبر صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م] - بدمشق -: «هانحن قد عدنا يا صلاح الدين»؟!! .. واحتل الإنجليز فلسطين والعراق، وقال قائدهم «اللنبي» [١٨٦١ - ١٩٣٦م] -عندما دخل القدس-: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»!!..

* وفي ٢٢ رجب سنة ١٣٤٢هـ ٣ مارس سنة ١٩٢٤م أُلغيت الخلافة الإسلامية.. ونُفي آخر خلفائها السلطان عبد المجيد الثاني [١٢٨٦ - ١٣٦٤هـ ١٨٦٩ - ١٩٤٤م]، فزال «الرمز»، وتحطم «الوعاء» الذي حافظ - بشكل أو بآخر - على وحدة الأمة وتكامل دار الإسلام، والذي أبقت عليه الأمة واعتصمت به منذ ظهور الإسلام!..

والذين يعلمون عداء الغرب الاستعماري -تاريخياً- لهذا «الرمز» وهذا «الوعاء».. والأفراح التي أقامها الصليبيون والصهاينة لهذا الحدث، يستطيعون تقدير وقعه على الإسلاميين وعلى عموم المسلمين.. ويفهمون معنى الرثاء الذي أعلنه أمير الشعراء أحمد شوقي [١٢٨٥ - ١٣٥١هـ ١٨٦٨ - ١٩٣٢م]. عندما قال:

ضجت عليك مآذن ومنابر ... وبكت عليك ممالك، ونواح
الهند والهة، ومصر حزينة ... تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل، والعراق، وفارس ... أمحا من الأرض الخلافة ماح؟!
يا للرجال، لحرة موءودة ... قُتلت بغير جريرة وجُناح

نزعوا من الأعناق خير قلادة ... ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
وعلاقة فُصمت عُرى أسبابها ... كانت أبرّ علائق الأرواح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم ... في كل خطوة جمعة ورواح
بكت الصلاة، وتلك فتنة عابث ... بالشرع، عربيد القضاء، وقاح
فلتسمعن بكل أرض داعيا ... يدعو إلى الكذاب، أو لسجاح
ولتشهدن بكل أرض فتنة ... فيها يُباع الدين بيع سماح
يُفْتَى على ذهب المعز وسيفه ... وهوى النفوس، وحقدها الملحاح[1]

وما هي إلا أشهر حتى تحققت "النبوءة" أمير الشعراء.. فعلت أصوات دعاة الفتنة في طول البلاد الإسلامية وعرضها..

* ففي رمضان سنة ١٣٤٣هـ أبريل سنة ١٩٢٥م نشر الشيخ علي عبد الرازق [١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦م] كتابه [الإسلام وأصول الحكم].. فكان أول كتاب يكتبه مسلم - بل وشيخ أزهري، يتولى منصب القضاء الشرعي - يزعم فيه أن الإسلام دين لا دولة.. وأن الخلافة الإسلامية كانت دائمًا وأبدًا، وعلى مر تاريخها سلطة قهر.. وأنها لا علاقة لها بالإسلام!..

ولقد وقع هذا الكتاب على العقل المسلم وقع الصاعقة.. ودارت حوله معركة لعلها أكبر معارك الشرق الفكرية في القرن العشرين!..

---

(١) أحمد شوقي [الشوقيات] المجلد الأول. جـ١ ص ١٠٥ - ١٠٩. طبعة دار الكتاب العربي -بيروت- بدون تاريخ.

* وفي ذي القعدة سنة ١٣٤٣هـ يونية سنة ١٩٢٥م عزل الإنجليز الشريف حسين بن علي، ونفوه إلى جزيرة "قبرص"!.. فجسدوا بهذا القرار غدرهم بالعرب والعروبة، بعد أن استعانوا بها على الغدر بالإسلام والمسلمين!.. وهكذا ضاع من يد المسلمين - إسلاميين كانوا أو قوميين - كل شيء!..

* وفي سنة ١٣٤٤هـ سنة ١٩٢٦م نشر الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] كتابه [في الشعر الجاهلي]، الذي استخدم فيه منهج "الشك الديكارتي" للتشكيك في "الشعر الجاهلي"... ثم تجاوز نطاق "الشعر الجاهلي" إلى حيث شكك في عقائد قرآنية، من مثل قصة الخليل إبراهيم ورحلته الحجازية، وإقامته - مع ابنه إسماعيل - عليهما السلام - قواعد البيت الحرام!..

فكان هذا الكتاب - بعد كتاب [الإسلام وأصول الحكم] - ثاني عمل فكري - يكتبه شيخ أزهري - يمثل اقتحام "التغريب" لمقدسات المسلمين، واستفزاز "النزعة المادية" للحضارة الغربية مشاعر المسلمين!..

وهكذا حدث ما هو أخطر من احتلال الأرض.. ونهب الثروات.. حدث الاختراق للعقل المسلم، وبدا صوت "التغريب" - على ألسنة نفر من أبناء الأمة - يبشر بأن الخلاص لن يتحقق إلا عبر تبني المشروع الحضاري الغربي، بخيره وشره، بحلوه ومره، بما يحب فيه وما يكره، بما يحمد فيه وما يعاب.. وذلك بدعوى أننا جزء من طبيعة هذا المشروع الغربي، لأننا جميعا أبناء حضارة البحر المتوسط!.. وعقلنا يوناني.. لم

يغير القرآن من يونانيته، كما لم يغير الإنجيل يونانية العقل الغربي، إذ القرآن – في دعواهم – مجرد مصدق للإنجيل!!..[١].. والإسلام – كالنصرانية – ليس إلا رسالة روحية، لا سياسة فيها ولا حكم ولا دولة.. بل، يا بعدما بين السياسة والإسلام، وما كان محمد إلا صاحب سلطان روحي على القلوب، كالخالين من الرسل، لم يقم دولة، ولم يرأس حكومة، ولم يبلور جماعة سياسية.. فرسالته، كسابقاتها، تدع ما لقيصر لقيصر، وتقف – فقط – عند ما لله![٢].. وللمؤمنين أن يلتمسوا ما شاء لهم الإيمان بخصائص القرآن، تلك الخصائص التي لابد لهم من الشك فيها!..[٣].. وليست العربية هي لغة النهضة والتقدم، لأنها لغة القرآن والأخلاقيات العربية، فلا يصلح لعصر النهضة مثلها والرمادات!.. ومعايير النضج الفكري هي الإيمان بالغرب، والتقليد له.. والكفران بالشرق!![٤].. ولهذا، فلابد لنا "أن نسير سيرة أوربا في الحكم والإدارة والتشريع"[٥].

نعم.. حدث هذا الزلزال.. وهذا الاختراق للثوابت والمعتقدات والمقدسات..

---

(١) د. طه حسين [مستقبل الثقافة في مصر] جـ١ ص ٢٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٢) علي عبد الرازق [الإسلام وأصول الحكم] ص ٦٤ – ٨٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥م.

(٣) د. طه حسين [في الشعر الجاهلي] ص ٧٨، ١١ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٦م.

(٤) سلامة موسى [البلاغة العصرية واللغة العربية] طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥م، [اليوم والغد] ص ٥، ٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٧م.

(٥) [مستقبل الثقافة في مصر] جـ١ ص ٣٦، ٣٧.

وإذا كانت الزلازل السياسية والاستعمارية لها نظائر في تاريخ الإسلام والمسلمين.. فإن هذا الاختراق الفكري غير مسبوق في تاريخ حضارة الإسلام!.. الأمر الذي اهتز له ضمير الأمة كما لم يهتز في منعطف من منعطفات التحديات التاريخية التي واجهتها.. فكانت الاستجابة الإيجابية أمام هذا التحدي غير المسبوق، تعبيراً عن نفاسة المعدن.. وتحقيقاً للسنة الإلهية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].. سنة حفظ الإسلام بالمسلمين.. وتجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام!..

***

[٤]

الجامعة الإسلامية فى طور جديد

نعم.. حدثت هذه الأحداث الجسام، التى هزت كيان الأمة، وزلزلت وجدان الإسلاميين، فاستنفرتهم للمقاومة.. فلقد كان الإسلام، على مر تاريخ الأمة، هو حصنها المنيع عندما تتهدد الملمات والتحديات وجودها وهويتها.. وكانت صيحة «واإسلاماه!» هى كلمة السر التى تتنادى بها الأمة، وتتداعى إليها عقولها وقلوبها.. خاصتها وجماهيرها.. كان هذا هو قانون «التحدى» و«التصدى» على مر تاريخ الإسلام والمسلمين.. ولقد عاد ليعمل عندما عمت البلوى أثناء الحرب الاستعمارية العالمية الأولى [١٣٣٢-١٣٣٦هـ ١٩١٤-١٩١٨م].. وفى أعقابها..

* ففى سنة ١٣٤٦هـ سنة ١٩٢٧م -بعد فشل المؤتمرات الحكومية وشبه الحكومية التى عقدت لإنقاذ الخلافة- اجتمع صفوة علماء الإسلام ومفكريه- بالقاهرة -وأسسوا جمعية «الشبان المسلمين».

* وإذا كان أمير الشعراء أحمد شوقى قد تحدث فى رثائه للخلافة- عن بكاء ممالك الإسلام ونواحى دياره على إسقاطها:

وبكت عليك ممالك ونواح

فلقد كان حسن البنا -مع ثلاثة من رفاقه- يبكون بكاءً حقيقيا، على الخلافة الإسلامية.. وعلى الحال الذى وصلت إليه الأمة.. مع معاناة

التفكير -ليل نهار- فيما يجب عمله لإنقاذ الأمة من هذا المنحدر الخطير الذي سقطت فيه..

وعن هذه الحال النفسية التي عاشها الفتى -ابن العشرين عامًا، المتخرج من كلية دار العلوم- حدثنا فقال:

"... وليس يعلم إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء... وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا في مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة، والخليون هاجعون يتسكعون بين المقاهي ويترددون على أندية الفساد والإتلاف..."

ثم يمضي للإشارة إلى "القرار التاريخي" الذي اتخذه -هو ورفاقه الثلاثة- في "اللحظة التاريخية" فيقول:

"لقد ألهبت هذه الحوادث نفسي، وهاجت كوامن الشجن في قلبي، ولفتت نظري إلى وجوب الجد والعمل، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه، والتأسيس بعد التدريس."[1]

* هكذا كانت سنة ١٣٤٧هـ سنة ١٩٢٨م هي سنة "اللحظة التاريخية" التي صنعت "التحول النوعي" لأداء الشيخ حسن البنا في

(١) المجموعة [illegible] للإمام الشهيد حسن البنا [illegible]
طبعة القاهرة، دار [illegible] بدون تاريخ.

سياق تطور المشروع الإسلامي للنهضة الحضارية، وتجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام .. فاللحظة التاريخية التي أدرك فيها هذا الرجل الملهم والمبارك أن تصاعد التحديات .. وثغرات الاختراق .. وعموم البلوى، إنما تتطلب الانتقال بالقضية من إطار الصفوة والنخبة التي كانت عليه منذ [العروة الوثقى] وحتى [الشبان المسلمين] إلى الدائرة التي تشترك فيها «الأمة» مع «النخبة»، وإلى المشروع الذي تسهم فيه «الجماهير» مع «الصفوة» في مواجهة التحديات.

فالغزو الاستعماري والفكري لم يعد «على الأبواب» -كما كان الحال في عصر الأفغاني- وإنما أصبح في داخل المعاقل الإسلامية!.. والتخلف الموروث لم يعد بالثقل الذي كان عليه في عصر الأفغاني ومحمد عبده، وإنما أصبح الثقل خطر التغريب.. فتغيرت -إذاً- موازين التحديات، الأمر الذي فرض إعادة الترتيب للأولويات.

لقد كان نصف القرن الذي مضى من عمر الجامعة الإسلامية، تأسيسا لمشروع النهضة الإسلامية.. وتكوينا «للعقل» القائد لهذا المشروع.. وأمام تصاعد التحديات.. والاختراق من الداخل.. كان لابد من بلورة «الجسم» لهذا «العقل»!.. فكان الإنجاز التاريخي لحسن البنا، في سياق الإحياء الإسلامي، الانتقال «بأسس المشروع الحضاري» والمنهج التجديدي لدى الأمة ودنياها إلى المعالم الأشد وضوحا، والأكثر تفصيلا، والأقرب إلى التنزيل على الواقع الذي استجد، والمتغيرات التي حدثت في موازين

التحديات، حتى يقترب هذا المشروع و«معالمه» من «البرنامج» المقدم إلى «الجماهير».

وأيضًا، الانتقال «بالتنظيم» الحامل للرسالة من إطار «الصفوة -صفوة أولي الأمر -كما كان الحال في [جمعية العروة الوثقى] إلى إطار الجماهير، كما تجسد في [جماعة الإخوان المسلمين].

تلك هي «اللحظة التاريخية» لحسن البنا.. وذلك هو «التطور النوعي»، و«الإضافة الكيفية» لإنجازه، في السياق التاريخي لحركة الإحياء الإسلامي الحديث. وتلك هي «بصمته» المتميزة في ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة..

* * *

[٥]

من معالم التجديد فى مشروعه الحضارى

وإذا كان المقام لا يتسع لحديث مفصل عن معالم المشروع التجديدى للنهضة الحضارية الإسلامية، كما صاغه الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا لحركة الصحوة الإسلامية المعاصرة، ممثلة فى [جماعة الإخوان المسلمين].. فإننا نقف عند إشارات، إلى عناوين أمهات المسائل فى هذا المشروع.. وعلى سبيل المثال:

١- التميز عن المؤسسات الدينية التقليدية:

فلم يكن الإسلام عند [الإخوان المسلمين] -كحركة إحياء إسلامى- كما هو عند «المؤسسات الدينية التقليدية» تلك التى كانت لا تزال -فى جملتها- واقفة عند «المتون» و«الحواشى» و«التعليقات» و«الاعتراضات» التى أفرزها عصر التراجع الحضارى -المملوكى، العثمانى- والتى أقامت شبه قطيعة معرفية مع عصر الازدهار والإبداع فى تاريخنا الحضارى.. واتخذت موقفا غير ودى من إبداعات العصر الحديث فى التجديد والإحياء..

لم يكن الإسلام، عند [الإخوان المسلمين]، هو ذلك الذى وقفت عنده المؤسسات التقليدية فى التعليم الدينى.. وإنما تقدم «الإخوان»

خطوات. فتجاوزوا فيهم هذه المؤسسات للإسلام.. ومن هنا كانوا بحق فصيلا من فصائل تيار التجديد.

* ولم يكن الإسلام -عند حسن البنا- والإخوان المسلمين.. مقصورا عند العقل وحده- فهو دين.. مطلق -بينما العقل نسبي الإدراك، كسائر ملكات الإنسان.

ولا وقوفا عند النقل وحده.. فلله -سبحانه وتعالى- مع النقل.. هدايات أخرى وهبها وسخرها للإنسان.

ولا وقوفا عند التجربة والحواس وحدها.. وإلا كان الناس "خبراء لا قلوب لهم"!.. يبصرون ظاهرا من الحياة الدنيا، لا يتجاوزون حدوده.

ولا وقوفا عند القلب والوجدان وحده، وإلا كانت "الشطحات" لمتصوفين لا عقل لديهم يضبط خطرات القلوب!.

وإنما كان الإسلام الإحيائي -عند حسن البنا- هو ذلك المنهج الشامل.. الذي يرجع -في مصادر المعرفة- إلى كتابي الوحي والكون -كتاب الله المسطور، وكتابه المنظور. ولذلك اعتبر حسن البنا أن جماعته هي دعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب(1).

.. وإنها -لذلك- جامعة لأصول التجديد.. ومعالمه.. ومستجيبة لملكات الإنسان.. وملبية لشرائح الأمة ومكوناتها.. وأيضا مراعية لمستوى الجماهير.. فهي:

(1) المصدر السابق. رسالة دعوتنا في طور جديد. ص ٢٢٣.

«دعوة سلفية.. وطريقة سنية.. وحقيقة صوفية.. وهيئة سياسية، وجماعة رياضية.. ورابطة علمية ثقافية.. وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية»[١].

* * *

٢- الجمع بين «النظر العقلي» و«النظر الشرعي»:

وفي مواجهة الاستقطاب الحادة بين الغلاة..

الغلاة الذين تخندقوا أمام ظواهر النصوص..

والغلاة الذين ألهوا براهين العقول، ونقلوها من «النسبية» إلى «الإطلاق».. وقف الأستاذ البنا - بالتجديد الإسلامي - عند وسطية الإسلام.. فقطع باستحالة الخلاف والتضاد والتناقض بين «النظر العقلي» و«النظر الشرعي» في الأمور «القطعية».. ورأى أن بعض المجالات المعرفية مختص بواحد من سبل النظر دون الآخر.. كالإلهيات.. مثلا:

«فذات الله، تبارك وتعالى، أكبر من أن تحيط بها العقول البشرية، أو تدركها الأفكار الإنسانية، لأنها مهما بلغت من العلوم والإدراك محدودة القوة، محصورة القدرة.. فالعقل البشري قاصر عن إدراك حقائق الأشياء..»[٢] في مثل هذه الميادين. ولذلك فإن «الإسلام قد أرشد العقول إلى التزام حدها، وعرفها قلة علمها، ونبهها إلى الاستزادة من

---

(١) المصدر السابق. [illegible] ص ١٢٤، ١٥٥.

(٢) المصدر السابق. رسالة العقائد. ص ٣٦٤.

معارفها، فقال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [الإسراء: ٨٥] وقال تعالى: ﴿وقل رب زدني علما﴾ [طه: ١١٤].

وإذا كانت «طبيعة المبحث» هى التى تحدد أداة النظر فيه، وهل الأولى أن تكون «العقل» أو «الشرع»، فإن اختلافهما إنما يكون فى «الظاهر»، وفيما هو «ظنى»، لم يبلغ فيه أحدهما مرتبة «اليقين».. «فقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى مالا يدخل فى دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى، فلن تصطدم حقيقة علمية بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت بالعقل أو ينهار..»(١).

وإذا كان الإسلام قد رفض «غرور العقل» و«انفراده بالنظر» فى كل الميادين، ودعا إلى التوازن بين نظره وبين النظر الشرعى.. فإنه «لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول»(٢).. بل جاء يحرر العقل، ويحث على النظر فى الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء. «والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»(٣) -رواه الترمذى وابن ماجه-..

وهذا الموقف الإسلامى الوسط، إزاء «العقل والعقلانية» نابع من التمييز بين مجالات البحث وطبائع الأشياء موضوع النظر.. فمن هذه

(١) المصدر السابق. رسالة التعاليم، ص ٢٧١

(٢) المصدر السابق. رسالة العقائد. ص ٢٩٤.

(٣) المصدر السابق. رسالة التعاليم. ص ٢٧٠.

المجالات ما تكون السيادة الأولى فيه للنظر العقلى، ومنها ما تكون السيادة الأولى فيه للنظر الشرعى -وهناك ميادين تكون السيادة فيها للحواس والتجربة.. وأخرى تكون السيادة الأولى فيها للقلب والوجدان.

وهذا الموقف الإسلامى المتميز، هو الذى يرفض الخرافة، المنكرة للعقل.. كما يرفض المادية، المنكرة لعالم الغيب، ولما يعلو على الفهم -وإن لم يناقض العقل-.. فيرفض -هذا الموقف الإسلامى «الإيمان الأسطورى»، كما يرفض «العقلانية اليونانية - الأوربية»، التى أنكرت الوحى، ووقفت عند النظر العقلى المجرد وحده، وعالم الشهادة دون سواه.. وإذا كان تاريخ «العقل البشرى» يشهد على تذبذبه بين:

١- طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب..

٢- وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول..

وكلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح، وغلو فاحش، وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان، فلقد جاء الإسلام الحنيف يفصل القضية فصلا حقا.. فجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل.. إن المجتمع الإنسانى لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث فى النفوس مراقبة الله.. فى الوقت الذى يجب على الناس فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء، وتنتفع بما فى الوجود من خيرات وميزات.. فإلى هذا اللون من التفكير، الذى يجمع بين العقليتين: الغيبية والعلمية، ندعو الناس»[1].

(١) المصدر السابق. رسالة دعوتنا فى طور جديد. ص ١١٠ - ١١٢.

هكذا قال الأستاذ البنا، فاصلا ومفصلا القول في هذا المنهج الإسلامي الوسطي، الرافض لكل ألوان الغلو في هذا الميدان..

* * *

٢- مرونة الشريعة.. والانفتاح على الحكمة الإنسانية:

وحتى يكون الباب مفتوحا -حقا- أمام التجديد، جاء الإسلام -في المعاملات.. والاجتماعيات.. والسياسات.. والكليات.. فوضع شريعته.. التي هي وضع إلهي ثابت -عند فلسفة التشريع.

ولم تأت بتفاصيل التشريعات -وركزت على "القواعد" و"النظريات" و"الكليات"، تاركة الباب مفتوحا أمام "الاجتهاد" المحكوم بهذه الكليات والقواعد والفلسفات والنظريات.. ومفتوح -كذلك- أمام التجديد الذي يضع هذه الاجتهادات في الممارسة والتطبيق.. فكان هذا المنهاج الإسلامي الذي يواكب كل المستجدات بالحلول الجديدة، والذي تبقى فيه هذه الحلول الجديدة إسلامية دائما وأبدا، لأنها فروع وأوراق للجذور والأصول والكليات الثوابت التي لا تغيير فيها ولا تبديل.

وعن هذا الموقف الإسلامي من الكليات الثوابت.. والجزئيات المتجددة، كتب الأستاذ البنا فقال: «يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام، كدين عام، انتظم كل شئون الحياة، في كل الشعوب والأمم، لكل الأعصار والأزمان، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة،

وخصوصا في الأمور الدنيوية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشئون، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها[1]. لقد جاء الإسلام للناس بفكرة سامية تحدد الأهداف العليا، وتضع القواعد الأساسية، وتتناول المسائل الكلية، ولا تتورط في الجزئيات، وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها وتتسع لها جميعا ولا تصطدم بشيء منها... ولقد فرق الفقهاء في النظرة التشريعية بين ما هو من قواعد أحكام العبادات، وشئون الحياة الاجتماعية، فأفسح للنظر والاجتهاد في الثانية ما ليس في الأولى، حتى لا يكون على الناس حرج ولا مشقة ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة: ١٨٥] وتحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور... فليست في الدنيا شريعة تكفل المرونة والسلامة والسعة كشريعة الإسلام[2] ولذلك كان الإسلام هو شريعة كل زمان ومكان...»[3].

وهذا التجديد الذي تفتح له الشريعة صدرها وتفسح مداه الفقهي، كما يكون إبداعا ذاتيا للأمة الإسلامية والعقل المسلم، يكون -أيضا- حركة - أي صيرورة عقلية - يستهدف بها العقل المسلم آثار وحدته، وعصور التقدم عن المواطن الحضارية التي أبدعتها.

---

(١) [illegible] ص ٤٤.

(٢) [illegible] ص [illegible].

(٣) [illegible] ص ٢.

وعن هذه الحقيقة من حقائق الانفتاح الإسلامي على الآخرين، والتفاعل مع إبداعاتهم، يقول الأستاذ البنا:

«إن طبيعة الإسلام، التي تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب.. لا تأبى أبدا الاستفادة من كل نظام صالح لايتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة[1]. إنه يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه، وينادي بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ولا يمنع أن تقتبس الأمة الخير من أي مكان، فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع ومفيد عن غيرنا، ونطبقه وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا»[2].

* * *

٤- إسلامية النظام النيابي الدستوري:

ولقد طبق الأستاذ البنا هذا المنهاج -منهاج انفتاح الإسلام- وخاصة في الشئون الدنيوية- على مختلف الثقافات والحضارات -طبق هذا المنهاج على الموقف الإسلامي من النظام النيابي والدستوري الذي تبلور في تجارب الديمقراطيات الغربية.. فقال:

«إنه ليس في قواعد هذا النظام النيابي -الذي نقلناه عن أوروبا- ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم، وهو بهذا الاعتبار ليس بعيدا عن النظام الإسلامي ولا غريبا عنه[3].. وإن الباحث حين

(١) المصدر السابق، رسالة المؤتمر الخامس. ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق، رسالة دعوتنا في طور جديد. ص ١٢١، ١٢٢.

(٣) المصدر السابق، رسالة نحو النور ص ٦٨.

ينظر إلى مبادئ الحكم الدستورى -[التى قام عليها الدستور المصرى الموضوع سنة ١٣٤١هـ سنة ١٩٢٣م] -التى تتلخص فى:

* المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها.

* وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة.

* وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب، ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال.

* وبيان حدود كل سلطة من السلطات.

هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده فى شكل الحكم، ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستورى هو أقرب نظم الحكم القائمة فى العالم كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظاما آخر.. فنحن نسلم بالمبادئ الأساسية للحكم الدستورى باعتبارها متفقة، بل مستمدة من نظام الإسلام..»[(١)].

فالمبادئ والفلسفات والمقاصد التى جاء بها الإسلام فى سياسة الأمة والدولة يمكن أن تحققها «النظم المدنية» و«التجارب الإنسانية» التى هى إبداع إنسانى -إسلامى أو غير إسلامى -والمعيار، فى القبول والرفض، هو مدى تحقيق هذه «النظم» لمقاصد الإسلام فى إشراك الأمة فى سلطة صنع القرارات.. وفى تحقيق العدل بين الناس..

* * *

(١) المصدر السابق، رسالة المؤتمر الخامس. ص ١٧٢، ١٧٣.

٥- رفض التغريب.. ونقد الحضارة المادية الغربية:

وفي مواجهة «التغريب» ـ الذي اخترق عقل الأمة، وغدا له أحضان من بين أبنائها ـ يقف مشروع الأستاذ البنا ليقول:

«إن الحضارة الغربية، بمبادئها المادية، قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة الإسلامية، بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معًا في أرض الإسلام نفسه، وفي حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم، كما انتصرت في الميدان السياسي والعسكري.

وكما كان لذلك العدوان العسكري أثره في تنبيه المشاعر القومية، كان لهذا الطغيان الاجتماعي أثره كذلك في انتعاش الفكرة الإسلامية»[1]. «إن مدنية الغرب، التي زهت بجمالها العلمي حينًا من الدهر، وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم لدوله وأممه، تفلس الآن وتندحر... فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات، وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المبادئ الشاذة، والثورات المندلعة في كل مكان، وقد حار الناس في علاج شأنها وضلوا السبيل».

ونحن نريد أن نفكر تفكيرًا استقلاليًا، يعتمد على أساس الإسلام الحنيف، لا على أساس الفكرة التقليدية التي جعلتنا نتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته في كل شيء.. نريد أن نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا كأمة

(١) المصدر السابق - رسالة المؤتمر الخامس - ص ١٥٠، ١٥١.

عظيمة مجيدة، تجر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد..»[١].

* * *

ولقد كان رفض «التغريب» -في مشروع الأستاذ البنا- رفضاً «للتقليد.. والتبعية».. ولم يكن رفضاً «للتفاعل» -الصحي- بين الحضارات.. ولا دعوة «للعزلة.. والانغلاق.. والاكتفاء الذاتي».. فهو الذي يقول عن حضارتنا الإسلامية وأمتنا الإسلامية:

«لقد اتصلت بغيرها من الأمم، ونقلت كثيراً من الحضارات، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعاً، فعربتها أو كادت، واستطاعت أن تصبغها، وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً، من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية»[٢].

وهكذا كان الموقف التجديدي -إزاء الحضارات الأخرى- وسطاً، يرفض «الانغلاق.. والعزلة» ويرفض «التبعية.. والتقليد».. ويتخذ الموقف النقدي، الذي يميز ما بين «المشترك الإنساني العام» وما بين «الخصوصيات العقدية والفلسفية والثقافية».. فهو «التفاعل»، الذي ينفتح على الدنيا من موقع الراشد المستقل، الذي لا يفقد هويته ولا يفرط في روحه الحضارية المميزة عن الآخرين.

* * *

---

(١) المصدر السابق: رسالة دعوتنا في طور جديد، ص ١٢.

(٢) المصدر السابق: رسالة بين الأمس واليوم، ص ١٣.

٦- التمييز بين المقدس المعصوم.. وبين التراث الفكري:

وفي مواجهة «التخلف الموروث».. وتيار «التقليد لهذا التخلف» و«الجمود على موروثه»، دعا الأستاذ البنا إلى «التجديد». وحدد في صراحة ووضوح أن دعوته هي واحدة من «الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب..»(١).

وطالب، في النظرة المنهجية للتراث والتاريخ، بالتمييز بين «الدين الثابت» وبين «الفكر المتغير» و«الممارسات البشرية».. وهو ما يعني التطبيق لمنهاج التجديد الإسلامي في العودة إلى المنابع الجوهرية والنقية المعصومة -الكتاب وصحيح السنة- أي البلاغ القرآني والبيان النبوي لهذا البلاغ القرآني.. فهو «المقدس -الملزم»، بينما الفكر الإسلامي، والتراث الحضاري، وتجارب التاريخ، هي كنوز نحييها ونحتضنها، ونستلهم منها، لكن دون تقديس ولا تعصب ولا إلزام.. فالتجديد: هو عودة للمنبع، مع الدراسة للواقع المعيش، والبحث عن إجابات لعلامات استفهام هذا الواقع المعيش والمتجدد في هذه المنابع، مستفيدين الاستفادة الواعية والمرنة من هذا التراث الفكري والحضاري والتاريخي.. وعن هذا المنهاج التجديدي يقول الأستاذ البنا: «إن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله، تبارك وتعالى، وسنة رسوله، ﷺ.. وإن كثيرا من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها والشعوب التي عاصرتها، ولهذا يجب أن تُستقى النظم الإسلامية، التي تُحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي، معين السهولة

(١) المصدر السابق، رسالة دعوتنا في طور جديد، ص ١٢٢.

الأولى، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح: رضوان الله عليهم، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا به الله. ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والإسلام دين البشرية جمعاء.»[(١)].

فبهذا التجديد -والتجديد بتحرر العصر من أسر العصور السابقة. ويتحرر العقل المعاصر من قيود العصور الماضية.. بل وتتحرر النصوص المؤسسة للدين.. القرآن والسنة- من حجب النصوص البشرية والاجتهادات التى أثمرتها ملابسات خاصة، فتعود الفاعلية الأولى لهذه النصوص المعصومة والمقدسة.. وبذلك التحرر يجد الواقع المعاصر والمعيش الإجابات عن علامات استفهام لدى العقل الذى يعايش هذا الواقع ويفقهه، فى ضوء كليات الكتاب والسنة وانطلاقا منها؛ فتأتى الإجابات معاصرة حقا.. وسلفية أيضا.

ونحن عندما نتأمل هذا المنهاج فى التجديد الإسلامى، عند الأستاذ البنا، ونتأمل العبارات التى أوردناها له هنا، نتذكر -على الفور- صياغة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لذات المنهاج، عندما قال: إنه قد دعا إلى «تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى..»[(٢)].

---

(١) المصدر السابق. رسالة المؤتمر الخامس. ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٢ ص٣١٨.

وبهذا المنهاج تتحول السلفية إلى تحرير وتجديد، لا إلى جمود وتقليد، كما فهمها آخرون!

* * *

وهنا -أيضا- يتميز التجديد الإسلامي عن «الحداثة» -بمعناها الغربي- فضلاً عن تميزه عن الجمود والتقليد.

فالجمود والتقليد قد حول التراث، إلى مرجعية كادت أن تحجب المنابع الجوهرية والنقية للإسلام، حتى غدت حجابا بين العصر وبين البلاغ القرآني والبيان النبوي لهذا البلاغ القرآني.. وكادت المذهبية والمذاهب أن تحجب مقلديها عن منهاج النبوة..

ثم جاءت «الحداثة» -بمعناها الغربي- لتقيم قطيعة معرفية كبرى مع الموروث والتراث، والموروث الديني على وجه الخصوص، فأحدثت فراغا كاملاً. فلا «التراث» أبقت، ولا هي رجعت إلى «المنابع» الأولى..

لكن التجديد الإسلامي -عند الأستاذ البنا.. وعند كل أئمة التجديد في حضارتنا- قد كان دعوة للعودة إلى المنابع الجوهرية والنقية، المقدسة.. والمعصومة.. والثابتة.. والملزمة للمسلمين -وبعبارة الأستاذ البنا: «المعين الصافي، معين السهولة الأولى»- مع الاستفادة من كنوز التراث الفكري، بعد عرضه على معايير القرآن وصحيح السنة.. ومع فقه الواقع المعيش، حتى نجيب عن علامات استفهامه هو، بالسنة الأحياء لا بفتاوى الأموات!!

٧- النقد لتاريخ الدولة.. ولمناهج الفكر في التاريخ الإسلامي:

وانطلاقًا من هذه النزعة التجديدية -التي هي ثورة على الجمود والتقليد- وقف الإمام البنا هذا الموقف النقدي، وهو يقيم تاريخ الدول الإسلامية في تاريخنا الحضاري.. فكان حديثه عن العوامل السبعة التي أدت إلى تحلل كياناتها، ومن ثم حدوث الفراغ الذي أخذ يتمدد فيه النموذج الغربي للدولة القومية الحديثة:

«فأهم عوامل التحلل في كيان الدولة الإسلامية -تاريخيًا- هي:

أ- الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه.

ب- والخلافات الدينية والمذهبية.

جـ- والانغماس في ألوان الترف والنعيم.

د- وانتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب، من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن، لصعوبة إدراكهم لمعانيه.

هـ- وإهمال العلوم العملية والمعارف الكونية، وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة.

و- وغرور الحكام بسلطانهم، والانخداع بقوتهم، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم، حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة.

ز- والانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم، والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع »[1].

حتى لنستطيع أن نقول إن الأستاذ البنا قد أوجز في هذه العوامل السبعة، ليس فقط النقد العبقري لنظم الدول الإسلامية في تاريخ الحضاري، وإنما -أيضًا- النقد لمناهج التفكير لدى كثير من مدارسنا الفلسفية في تراثنا الفكري!.. تلك التي شغلت العقل بالجدل فيما وراء الطبيعة وعوالم الغيب عن مهمته الأصلية والأولى وهي الإبداع في عالم الشهادة، لتسخير سنن هذا العالم في التقدم والنهوض..

وبهذا النقد العبقري قدم الأستاذ البنا للصحوة الإسلامية ميزانًا توزن به نظم الحكم الإسلامية في تاريخ الإسلام.

* * *

٨- الاستقلال الحضاري الشامل.. وسيادة الأمة:

وفي مواجهة الذين اكتفوا من مقاصد «الاستقلال» بالاستقلال «السياسي» -الذي يقف عند «العلم» و«النشيد»-: دعا الأستاذ البنا إلى الاستقلال الشامل الذي يحقق «سيادة الأمة»:

«لأن الإسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال، فضلا عن السيادة وإعلان الجهاد، ولو كلفهم ذلك الدم والمال»[2].. والاستقلال

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، رسالة بين الأمس واليوم، ص ١٣١، ١٣٢.
(٢) المصدر السابق: رسالة المؤتمر الخامس، ص ١٨٤، ١٨٥.

الاقتصادى للأمة.. وليس لقطر واحد من أقطارها -فالهدف هو تحقيق نظام اقتصادى استقلالي للثروة والمال والدولة والأفراد[١] والنقد، ذلك أن الرابطة بيننا وبين أمم العروبة والإسلام تمهد لنا سبيل الاكتفاء الذاتى والاستقلال الاقتصادى، وتنقذنا من التحكم الغربى فى التصدير والاستيراد وما إليهما»[٢].. والاستقلال الحضارى، الذى يعيد لأمة الإسلام وحضارته مكانة الإمامة للدنيا وموقع الشهود على العالمين.. «فلقد كانت قيادة الدنيا، فى وقت ما، شرقية بحتة. ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية، ثم نقلتها النبوات إلى الشرق مرة ثانية، ثم غفا الشرق غفوته الكبرى، ونهض الغرب نهضته الحديثة، فورث الغرب القيادة العالمية.

وها هو ذا الغرب يظلم ويجور ويطغى ويحار ويتخبط، فلم تبق إلا أن تمتد يد «شرقية» قوية، يظللها لواء الله، وتخفق على رأسها راية القرآن، ويمدها جند الإيمان القوى المتين، فإذا الدنيا مسلمة هانئة، وإذا بالعوالم كلها هاتفة، ﴿الحمدُ لله الذى هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدى لولا أنْ هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣][٣].

إنه استقلال الحضارة «المتميزة» -لا «المتخلفة» ولا «التابعة»- ذلك أن «الإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع، وأن نأخذ الحكمة أنّى وجدناها، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه فى كل شىء بمن ليسوا من دين الله على شىء،

(١) المصدر السابق: رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن، ص ١.

(٢) المصدر السابق: رسالة مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى، ص ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) المصدر السابق: رسالة نحو النور، ص ٦.

وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين»(1).

* * *

٩- تكامل دوائر الانتماء: الوطني.. والقومي.. والإسلامي.. والإنساني:

وفي مواجهة التصور الغربي، ضيق الأفق.. والاستعلائي، لكل من «الوطنية» و«القومية».. والذي وجد له دعاة وأحزابا تحقق بعضها عند «الوطنية الإقليمية».. وتحقق بعضها الآخر عند «القومية العنصرية».. وافتعل آخرون - كرد فعل - التناقضات بين الإسلام وبين الوطنية والقومية.. في مواجهة هذا الغلو، رأينا الأستاذ البنا يبعث - بالتجديد - المنهج الإسلامي الذي يؤلف بين جميع دوائر الانتماء - الوطني.. والقومي.. والإسلامي.. والإنساني - فيسلكها جميعا في سلك واحد.. فيعلن:

أ- أن «الإخوان المسلمين يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار، ولا يجدون غضاضة على أي إنسان أن يخلص لبلده، وأن يفنى في سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخر..

إن الإخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود، ولا يرون بأسا أن يعمل كل إنسان لوطنه، وأن يقدمه في العمل على سواه.

هذا من وجهة القومية الخاصة - إلى الوطنية..

(1) المصدر السابق. رسالة الإخوان المسلمين تحت راية القرآن. ص ٤٨.

ب- ثم هم، بعد ذلك، يؤيدون الوحدة العربية، باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض...

لقد نشأ الإسلام الحنيف عربيا، ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين. وقد جاء في الأثر «إذا ذل العرب ذل الإسلام». وقد تحقق هذا المعنى حين زال سلطان العرب السياسي، وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم. فالعرب عصبة الإسلام وحراسه.

وأحب أن أنبه إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة، كما عرفها النبي ﷺ فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: «ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان».

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه -ومن هنا على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة- وتأييدها ومناصرتها. فالوحدة العربية هي الحلقة الثانية في النهوض.

وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية.

جـ- بقي أن نحدد موقفنا من الوحدة الإسلامية

والحق أن الإسلام، كما هو عقيدة وعبادة، هو وطن وجنسية، وأنه قد قضى الفوارق النسبية بين الناس، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] والنبي ﷺ يقول: «المسلم أخو المسلم»، «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»

ولذلك، فالإخوان المسلمون يعملون للجامعة الإسلامية، باعتبارها السياج الكامل للوطن الإسلامي العام.

د- أما الخلافة الإسلامية، فإن الإخوان المسلمين يعتقدون أنها رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها.

والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله، ولهذا قدم الصحابة -رضوان الله عليهم- النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي ﷺ ودفنه، حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها.

والأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالاً للشك في أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حُوِّرت عن مناهجها، ثم الغيت، إلى الآن.

والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم، وهم، مع هذا، يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لابد منها، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات:

١- لابد من تعاون تام، ثقافي واجتماعي واقتصادي، بين الشعوب الإسلامية كلها.

٢- يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد.

٣- يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية.

٤- حتى إذا استوثق ذلك للمسلمين كان عنه الإجماع على «الإمام» الذي هو واسطة العقد، ومجمع الشمل، ومهوى الأفئدة، وظل الله في الأرض[١].

هـ- ولي أن أقول، بعد هذا: إن الإخوان يريدون الخير للعالم كله، فهم ينادون بالوحدة العالمية، لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه، ومعنى قول الله، تبارك وتعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأنا في غنى بعد هذا البيان، عن أن أقول: إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، وبأن كلا منها تشد أزر الأخرى، وتحقق الغاية منها[٢].. لقد وفق الإسلام بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة..[٣].

فإذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة -[أي الوطنية]- سلاحًا يميت الشعور بما عداها، فالإخوان المسلمون ليسوا معهم، ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس[٤].

و- أما مصر، فإنها قطعة من أرض الإسلام، وزعيمة أممه[٥] وفي

---

(١) من يقرأ رسالة الدكتور عبد الرزاق السنهوري عن [فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية] والتي أنجزها بباريس سنة ١٩٢٦م، يصل إلى أن الأستاذ البنا لم يكن بعيدًا عن فكرة السنهوري في خطوات إحياء الخلافة الإسلامية.

(٢) رسالة المؤتمر الخامس ص ٤٥- ٤٩، طبعة دار الاعتصام، القاهرة سنة ١٩٧٧م.

(٣) مجموعة رسائل الإمام الشهيد: رسالة نحو النور، ص ٦٢، ٦٣.

(٤) رسالة المؤتمر الخامس، ص ٥٠ - طبعة دار الاعتصام.

(٥) مجموعة الرسائل: رسالة إلى الشباب، ص ٨٨

المقدمة من دول الإسلام وشعوبه[١] ونحن نرجو أن تقوم في مصر دولة مسلمة، تحتضن الإسلام، وتجمع كلمة العرب، وتعمل لخيرها، وتحمي المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي عدوان، وتنشر كلمة الله وتبلغ رسالته.. فالمصرية لها في دعوتنا مكانتها ومنزلتها وحقها في الكفاح والنضال... ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام ولخير العالم كله..»[٢].

هكذا صاغ الأستاذ البنا في هذه العبارات البالغة النصاعة، وبهذا الأسلوب العلمي، أعمق النظريات السياسية والاجتماعية المعاصرة في تعدد وتكامل دوائر الانتماء -الوطنية.. والقومية.. والإسلامية.. والإنسانية- مع الإشارة إلى دور مصر -الرائد والقائد- في تحقيق هذه الوحدة المنشودة لأمة الإسلام..

الأمر الذي يستوجب على أهل الغلو -أكانوا وطنيين يديرون الظهر لما وراء الوطن- الإقليم- أو قوميين- يهملون الوطنية ويديرون الظهر لما وراء القومية -أو إسلاميين افتعلوا تناقضًا مزعومًا بين الإسلامية وبين الوطنيات والقوميات.. الأمر الذي يستوجب على سائر هؤلاء الغلاة أن يمعنوا النظر في هذا الذي كتب الأستاذ البنا في هذا الموضوع..

فكل هذه الدوائر للانتماء هي درجات في سلم الانتماء الواحد، يصعد عليها الإنسان المسلم -عقيدة أو حضارة- دونما تناقضات.. وبعبارة

(١) المصدر السابق، رسالة الإخوان المسلمين تحت راية القرآن، ص ٩٩.

(٢) المصدر السابق، رسالة دعوتنا في طور جديد، ص ١١٢ - ١١٤.

الأستاذ البنا: «فكل منها تشد أزر الأخرى، وتحقق الغاية منها، دونما تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار..»[1].

* * *

١٠- رفض التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله:

وفي مواجهة الغلاة الذين لا يرون في المجتمعات الإسلامية، وفي عقائد المسلمين المعاصرين إلا شوائب الكفر والجاهلية.. فيحكمون بهما على الأمة.. أو على النظم والحكومات والمجتمعات.. في مواجهة هؤلاء الغلاة يقدم المشروع التجديدي للأستاذ البنا الموقف الإسلامي الأصيل والمتوازن..

«فنحن لا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض -برأي أو معصية- إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر»[1]..

ولقد اندمجت مصر بكليتها في الإسلام بكليته، عقيدته ولغته وحضارته، ودافعت عنه وزادت عن حياضه وردت عنه عادية المعتدين.. ومن هنا بدت مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة في كثير من جوانب الحياة المصرية، فأسماؤها إسلامية، ولغتها عربية، وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء، وهذه مشاعر لا تهتز لشيء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام»..

(١) المصدر السابق: رسالة التعاليم، ص ٢٧١.

والمعركة قائمة بيننا وبين الشوائب التي وفدت إلينا من الحضارة الغربية، تلك الحضارة التي غزتنا غزواً قوياً.. فانحسر ظل الإسلامية عن الحياة المصرية في كثير من شئونها الهامة، واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الأوروبية، وحصرنا سلطان الإسلام في حياتنا على القلوب والمحاريب، وفصلنا عنه شئون الحياة العملية، وباعدنا بينه وبينها مباعدة شديدة، وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائية متذبذبة أو متناقضة.»[1].

فالمعركة معركة تنقية المجتمعات الإسلامية من الدخيل، الذي أقام فيها الثنائية والتذبذب بين روح الإسلام وبين الروح الإلحادية، روح اللذة والشهوة، الذي تميزت به الحضارة الغربية.. وليست معركة الإسلام مع مجتمعات ارتدت عن الإسلام ونوره إلى جاهلية جديدة، هي أشد ظلاماً من الجاهلية الأولى.. كما زعم ويزعم الغلاة الذين انحرفوا عن منهاج الإسلام الذي تبناه الأستاذ البنا..

* * *

١١- في العدل الاجتماعي، فقه الواقع.. وبرنامج الإصلاح:

وفي مواجهة المظالم الاجتماعية التي تطحن سواد الأمة -من قبل النهب الاستعماري.. ومن قبل الاستغلال الطبقي المحلي- قدم الأستاذ البنا صفحة من أروع صفحات العدالة الاجتماعية مطبقة على واقعنا المعاصر والمعيش..

(١) المصدر السابق، رسالة دعوتنا في طور جديد، ص ١٢٠، ١٢١.

فانطلاقًا من فلسفة الاستخلاف الإلهى للإنسان فى الثروات والأموال، البريئة من غلو الرأسمالية المتوحشة.. وغلو الشيوعية المصادمة لفطرة الإنسان.. تحدث الأستاذ البنا عن الواقع الاجتماعى البائس للشعب وسواد الأمة.. وقدم الحلول المدروسة والناجعة لهذا الداء الاجتماعى الذى يشل طاقات البناء والانتماء لدى الملايين..

لقد جعل النهب الاستعمارى لثروات بلادنا الفنان الشعبى سيد درويش [١٣٠٩- ١٣٤٢هـ ١٨٩٢- ١٩٢٣م] يغنى فيقول:

* يا مصر خيرك فـ ايد غيرك طلع برَّه *

. وجاء الإمام حسن البنا لينبه على دور هذا النهب الاستعمارى لخيرات البلاد فى «انتشار» الجماعة.. وفى دعوتها لإقامة العدل الاجتماعى بين الناس.. فقال:

«إن الدعوة نشأت بالإسماعيلية.. يغذيها وينميها ما نرى كل صباح ومساء من مظاهر الاحتلال الأجنبى والاستئثار الأوروبى بخير هذا البلد.

فهذه قناة السويس علة الداء وأصل البلاء.

وفى الغرب: المعسكر الإنجليزى بأدواته ومعداته.

وفى الشرق: المكتب العام لإدارة شركة القناة بأثاثه ورياشه ومرتباته.

والمصرى غريب بين كل هذه الأجواء فى بلده، محروم، وغيره ينعم بخير وطنه، ذليل، والأجنبى يعتز بما يغتصبه من موارد رزقه.

كان هذا الشعور غذاء ومددًا لدعوة الإخوان. فسطت روافها في منطقة القناة، ثم تخطتها[1].. إن المرافق العامة، وكل المنافع الهامة في جميع أنحاء البلاد، ودولاب التجارة والصناعة، والمنشآت الاقتصادية كلها في أيدي الأجانب المرابين.. تسيطر عليها أكثر من ٣٢٠ شركة أجنبية[2]

والثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدي الوطنيين إلى أيدي هؤلاء الأجانب.. فالبلد ليس فقيرًا، ولكن النهب الاقتصادي الأجنبي جعل «الأجانب الذين احتلوه أسعد حالاً من أهله وبنيه»[3] وهذا الغنى الذي يحققه الأجانب من نهب ثروات مصر المسلمة، يقابله فقر مدقع يطحن المواطنين المصريين..

«فأكثر من ٦٠٪ من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان، ولا يحصلون على القوت إلا بشق النفس. والبلاد مهددة بمجاعة قاتلة، ومعرضة لكثير من المشكلات الاقتصادية.. وهي من أكثر بلاد العالم المتمدن أمراضًا وأوبئة وعاهات.. وأكثر من ٩٠٪ من الشعب المصري مهدد بضعف البنية، وفقد الحواس، ومختلف العلل والأمراض.. وهي -[مصر]- لا زالت جاهلة، لم يصل عدد المتعلمين فيها إلى الخمس.. والجرائم تتضاعف، حتى إن السجون لتخرج أكثر مما تخرج المدارس!.. ومصر هذه لم تستطع إلى الآن أن تجهز فرقة واحدة في الجيش كاملة المعدات!..

(١) المصدر السابق، رسالة المؤتمر الخامس، ص ١٦٥، ١٦٦.

(٢) المصدر السابق، رسالة بين الأمس واليوم، ص ١٤١.

(٣) المصدر السابق، رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، ص ٣٣١

وكذلك حال كل بلد من بلدان العالم الإسلامي..»[١].

وبعد فقه هذا الواقع الاقتصادي والاجتماعي، الذي تألق فيه الأستاذ البنا كإمام في فقه الواقع كما هو حاله في فقه الأحكام.. أخذ في تنزيل الأحكام الإسلامية على هذا الواقع المعاصر والمعيش فدعا إلى:

أ- «نظام اقتصادي استقلالي للثروة والمال والدولة والأفراد، أساسه قول الله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾ [النساء: ٥]»[٢].

ب- واستقلال نقدنا عن فلك الاستعمار.

جـ- «وتمصير الشركات، وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك».

د- «وتخليص المرافق العامة -وهي أهم شيء للأمة- من يد غير أبنائها، فلا يصح بحال أن تكون هذه المرافق بيد شركات أجنبية، تبلغ رؤوس أموالها وأرباحها الملايين من الجنيهات، ولا يصيب الجمهور الوطني ولا العامل الوطني منها إلا البؤس والشقاء والحرمان».

هـ- «والعناية بالمشروعات الوطنية الكبرى، المهملة، التي طال عليها الأمد!.. ويجب التحول إلى الصناعة فوراً.. فهذا التحول هو روح الإسلام!.. مع تشجيع الصناعات اليدوية المنزلية.. وإرشاد الشعب

---

(١) المصدر السابق. رسالة بين الأمس واليوم. ص ١٤٦.

(٢) المصدر السابق. رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن. ص ١٠.

إلى التقليل من الكماليات، والاكتفاء بالضروريات، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة للصغار».

و- ويجب تكامل التنمية بين بلاد الإسلام، ذلك «أن الرابطة بيننا وبين أمم العروبة والإسلام.. تمهد لنا سبيل الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي، وتنقذنا من هذا التحكم الغربي في التصدير والاستيراد وما إليهما..»[1].

«فالجهاد الاقتصادي يجب أن يتوجه إلى خدمة الثروة الإسلامية، بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية.. والقرش الإسلامي يجب أن لا يقع في يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، فلا نلبس ولا نأكل إلا ما صنع في وطننا الإسلامي»[2].

ز- كذلك يجب إصلاح الخلل المتمثل «في التفاوت العظيم، والبون الشاسع، والفرق العظيم بين الطبقات المختلفة في هذا الشعب، والذي أدى إلى وجود ثراء فاحش وفقر مدقع، والطبقة المتوسطة تكاد تكون معدومة.. وذلك بتقريب الشقة بين مختلف الطبقات، تقريبا يقضي على الثراء الفاحش والفقر المدقع».

ح- «ومحاربة الربا.. وجمع الزكاة.. وفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدي -بحسب المال لا بحسب الربح- يعفى منها الفقراء

(١) المصدر السابق، رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي، ص ٢٣٨- ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق، رسالة التعاليم، ص ٢٧٩

طبعًا، وتجبى من الأغنياء الموسرين، وتنفق فى رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة[1] والتوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين، بتنظيم الإحسان وجمع الصدقات لتوزع فى المواسم والأعياد»[2].

ظ- وإصلاح الخلل المتمثل فى التفاوت الفاحش بين الملكيات الزراعية فى الريف، ذلك أن «روح الإسلام الحنيف وقواعده الأساسية فى الاقتصاد القومى، توجب علينا أن نعيد النظر فى الملكيات فى مصر، فنختصر الملكيات الكبيرة، ونعوض أصحابها عن حقهم بما هو أجدى عليهم وعلى المجتمع. ونشجع الملكيات الصغيرة.. وأن توزع أملاك الحكومة على هؤلاء الصغار.. حتى يشعر الفقراء المعدمون بأنه قد أصبح لهم فى هذا الوطن ما يعنيهم أمره ويهمهم شأنه»[3].

* * *

هكذا كان فقه الواقع الاقتصادى والاجتماعى.. وفقه الأحكام الإسلامية فى الثروات والأموال.. وتنزيل الأحكام على الواقع.. كما تجلى فى المشروع الحضارى للإمام الشهيد حسن البنا.. ابن كلية دار العلوم.. الذى تفوق -فى هذا الميدان على كل الأحزاب والجماعات والجمعيات التى عاصرته.. وسبق كل علماء الاجتماع.. بل وحتى تيارات الشيوعية والاشتراكية، فى معالجة معضلات الفقر والتنمية

---

(١) المصدر السابق. رسالة مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى. ص ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق. رسالة دعوتنا فى طور جديد. ص ١٢٣.

(٣) المصدر السابق. رسالة مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى. ص ٢٤٦.

والثروات والأموال.. ومآسى النهب والاستغلال، سواء منه الاستعمارى الأجنبى أو الذى يمارسه «المستغلون الوطنيون»!..

* * *

١٢- سنة التدرج فى الإصلاح:

ولأن الإسلام دين الوسطية، فلقد اعتمد سنة التدرج فى الإصلاح، وهذا التدرج هو وسط بين «الجمود والثبات» وبين «الطفرة والانقلاب»!

وهذه السنة فى التدرج، هى سنة عامة فى كل عوالم الخلق.. وفى سائر ميادين الاجتماع.. وكذلك فى عوالم الأفكار..

لقد نزلت الشرائع بالتدريج.. ونزلت أحكامها على الواقع والوقائع بالتدريج.. وتكونت الثقافات -التى مثلت عمران النفوس الإنسانية- بالتدريج.. وقامت المدنيات -التى مثلت عمران الواقع المادى- أى أن كل ألوان الإصلاح قد حدثت وتحدث بالتدريج.. وكذلك الحال فى التراجع والتخلف عن معالم الإصلاح ومنظومات قيمه وتشريعاته، حدث ويحدث -هو الآخر- بالتدريج..

والناظر فى منهاج النبوة وتطبيقاته.. وفى التراجع النسبى الذى تم بعد عصر الراشدين عن جوانب من هذا المنهاج -وخاصة فى الشورى والعدل الاجتماعى من قبل الدولة- ثم فى مشاريع الإصلاح والتجديد التى بدأت -على مستوى الدولة- بالراشد الخامس عمر بن عبد العزيز [٦١- ١٠١هـ ٦٨١- ٧٢٠م] -رضى الله عنه- الناظر فى كل ذلك يجد المنهاج

الإسلامي، الذي يؤكد وينحاز إلى سنة التدرج في الإصلاح، واضحًا كل الوضوح..

وانطلاقا من هذه السنة -الكونية.. والاجتماعية- الحاكمة للإصلاح الحقيقي -وليس الهبات العفوية.. والانقلابات العنيفة- واجه الأستاذ البنا «المتعجلين»، الذين يريدون الوصول السريع إلى «المقاصد» دون المرور «بدرجات السلم» الموصلة إلى هذه «المقاصد».. ونبه على خطورة التطلع إلى تحقيق «الغايات» دون التأسيس لمقومات هذه الغايات.. وسلوك طريق «المراحل» التي تفضي إلى هذه الغايات..

ذلك أن المنهاج الإسلامي في الإصلاح ليس منهاج القفز المباشر على «الدولة»، وإنما هو منهاج التربية «للأمة» أولا، لتأتي «الدولة» بعد ذلك ثمرة ناضجة نضوجًا طبيعيًا، ولتجد هذه «الدولة» «أمة» مهيأة ومستقبلة للمنهاج الإصلاحي لهذه الدولة الجديدة.. فضلاً عن رجالات هذه الدولة الجديدة وإطارات مؤسساتها..

فإصلاح الأصول أولا.. وإعادة صياغة الإنسان هي نقطة البدء، وتكوين الجيل «الواعي» و«القادر» على حمل الرسالة الإصلاحية، هو المهمة الأولى لأي رائد من رواد الإصلاح الحقيقي في منهاج الإسلام.. وما تجربة النبوة، وصناعة «الجيل الفريد» في المرحلة المكية، لتأتي بعد ذلك «الدولة» و«القانون» و«المؤسسات» و«المقترحات» و«السياسات» داخلية وخارجية- إلا الشهادة المصدقة على أن هذا هو منهاج الإسلام في الإصلاح..

وفي حالة الأستاذ البنا ودعوته وحركته، فإننا نلمح وعيه بهذه الحقيقة حتى وهو لايزال في مرحلة التفكير بمشروعه الإصلاحي -قبل تكوين الجماعة سنة ١٩٢٨م.. فهو يتحدث عن الزلازل التي أصابت الإسلام وأمته ودولته.. ويقول: «إنها أيهبت نفسي، وأهاجت كوامن الشجن في قلبي، ولفتت نظري إلى وجوب الجد والعمل، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه، والتأسيس بعد التدريس»[1].. فالجد والعمل تقطع مراحل:

١- التنبيه..

٢- والتكوين..

٣- والتدريس..

٤- والتأسيس!!.

نعم.. كان الرجل واعيا بحقيقة سنة التدرج والمرحلية في هذا المشروع الإصلاحي.. وانطلاقا من هذا الوعي، تحدث إلى «المتعجلين» الذين يريدون «حرق المراحل»!! فقال:

«أيها الإخوان المسلمون، وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم: اسمعوها مني كلمة داوية.. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته، موضوعة حدوده، ولست مخالفا هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول.

(١) المصدر السابق رسالة المؤتمر الخامس ص ١٤٥، ١٤٦.

أجل! قد تكون طريقًا طويلة، ولكن ليس هنالك غيرها. إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة، وتنبت الشجرة، وتصلح الثمرة، ويحين القطاف، فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة.

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول.. ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها، واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر، وما هي منكم ببعيد!.

أريد أن أكون صريحًا معكم للغاية، فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة.. أعدوا أنفسكم.. وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها، روحيًا بالإيمان والعقيدة، وفكريا بالعلم والثقافة، وجسميًا بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل جبار عنيد، فإني فاعل إن شاء الله»[1]!

* * *

(١) المصدر السابق، رسالة المؤتمر الخامس، ص ١٦١، ١٦٢.

١٢- القوة.. والثورة:

وانطلاقا من هذا المنهج في التدرج بالإصلاح، ورفض القفز على المراحل، وحرق تسلسلها.. عرض الأستاذ البنا للموقف من «الثورة».. فتحدث عن أن الإسلام إنما جاء ثورة كبرى بكل ما تحمل هذه الكلمة من مضامين، وفي كل ميادين الإصلاح والتغيير.. فهو الذي نقل وينقل الناس والمجتمعات من الجاهلية إلى الإيمان.. ومن الظلمات إلى النور.. وهو الذي يحيي موات النفوس والمجتمعات بما يحدثه فيها ولها من تغيير جذري وعميق وشامل في كل الميادين.. وعن هذه الحقيقة قال الأستاذ البنا:

«إن الإسلام ثورة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، يزلزل الأوضاع الفاسدة، ويحطم صروح البغي والعدوان الشامخة، ويجدد معالم الحياة وأوضاعها، ويقيمها على أثبت الدعائم.

إنه ثورة على الجهل.. وثورة على الظلم بكل معانيه: ظلم الحاكم للمحكوم.. وظلم الغني للفقير.. وظلم القوي للضعيف..

وثورة على الضعف بكل مظاهره ونواحيه: ضعف النفوس بالشح والإثم، وضعف الرؤوس بالغباء والعقم، وضعف الأبدان بالشهوات والسقم»[١].

* * *

(١) [الفكر السياسي للإمام حسن البنا] ص ٣٦٩ - وهو ينقل عن الجريدة [الإخوان المسلمين] اليومية- ٢٣ شوال سنة ١٣٦٥هـ ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٦م

لكن الأستاذ البنا ينبه على أن [الجماعة] ليس فى نيتها استخدام «العنف الثورى» الذى تخشاه الحكومات، لأن منهج الجماعة هو الإصلاح بالإسلام، وفق منهاج التدرج، وعبر الإعداد المرحلى.. اللهم إلا إذا فرض الآخرون على [الجماعة] هذا العنف الثورى، باستخدامه ضدها، وعندئذ تكون مكرهة على رد العدوان بمثله!..

وفى صياغة هذه «المعادلة الصعبة»، ميز بين «إعداد القوة» -التى هى طريق الإصلاح والتغيير- وبين «الثورة» -التى هى «أعنف مظاهر القوة»- والتى لن يلجأ إليها [الإخوان] ابتداء، ولن يسلكوا سبيلها إلا إذا فُرض عليهم، كما يُفْرَض القتال على المؤمنين -وهم له كارهون-!..

وفى تحديد هذا المسار -الدقيق.. والشائك- قال الأستاذ البنا:

«يتساءل كثير من الناس: هل فى عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة فى تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟

وهل يفكر الإخوان المسلمون فى إعداد ثورة عامة على النظام السياسى أو النظام الاجتماعى فى مصر؟.. أما القوة، فشعار الإسلام فى كل نظمه وتشريعاته!.. فالإخوان لابد أن يكونوا أقوياء، ولابد أن يعملوا فى قوة.. وأول درجة من درجات القوة، قوة العقيدة والإيمان، ويلى ذلك: قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح.

والثورة: أعنف مظاهر القوة..

إن الإخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة.

أما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها .. وإن كانوا يصارحون .. بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال فسيؤدي حتما إلى ثورة[1] .. إني أرى الوميض خلال الرماد ويوشك أن يكون له ضرام[2] ..

أيها الإخوان: إن قيل لكم: أنتم دعاة ثورة، فقولوا: نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به، فإن ثرتم علينا، ووقفتم في طريق دعوتنا، فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا، وكنتم الثائرين الظالمين!![3]

* * *

هكذا حدد الرجل أن التدرج في الإصلاح .. والمرحلية هي سبيل الإصلاح والتغيير .. وأن القوة هي السبيل لقطع هذه المراحل، والوصول إلى المقاصد والغايات:

* الإصلاح بالإسلام ..

* وتحرير الوطن الإسلامي ..

---

(١) [مجموعة رسائل الإمام الشهيد] رسالة المؤتمر الخامس ص ١٦٨ - ١٧
(٢) المصدر السابق - رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ص ١٩٦
(٣) المصدر السابق - رسالة بين الأمس واليوم ص ١٤٤

* وإقامة الدولة الإسلامية..

* وإعادة الأمة كلها إلى كامل شريعة الإسلام.

وهكذا تألق التجديد الإسلامي في هذا المشروع الحضاري لهذا المجدد العظيم: الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا.. الرجل الملهم والمبارك والرباني..

والذي لا نغالي إذا قلنا إنه -ودعوته وجماعته- قد مثلوا أبرز معالم التجديد -على مستوى جمهور الأمة- في القرن الرابع عشر الهجري - العشرين الميلادي..

والذي بارك الله في «البذرة» التي بذرها، كما لم يبارك في بذرة أخرى -على كثرة «البذور» التي بذرت في ذلك التاريخ- حتى وصلت آثارها إلى كل قارات الأرض، وجميع مدن هذا العالم الذي نعيش فيه..

* * *

وإذا كانت سطور هذه الصفحات قد قدمت إشارات إلى بعض معالم هذا المشروع الحضاري، الذي صاغه هذا الإمام الشهيد.. فإن هناك حقائق كثيرة يمكن الإشارة إليها في هذا الختام.. ومنها:

* أن الدراسة الوافية لهذا المشروع الإصلاحي لن تتأتى إلا بعد الجمع والتحقيق والدراسة والنشر للأعمال الفكرية الكاملة للأستاذ البنا، وتبويبها تبويبا موضوعيا وتاريخيا..

* وأن الناظر في معالم مشروعه الحضاري يتمنى أن ترتفع الصحوة الإسلامية إلى الآفاق التي حلق فيها هذا الإمام العظيم!..

رحمه الله رحمة واسعة.. وبارك في العطاء الذي قدمه، وفي الجهاد الذي جاهده.. وسدد الخطا على هذا الدرب، لتجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام.

* * *

المصادر والمراجع

- د. إبراهيم البيومي غانم: [الفكر السياسي للإمام حسن البنا] طبعة القاهرة- دار التوزيع والنشر الإسلامية، سنة ١٤١٢هـ سنة ١٩٩٢م.

- الأفغاني -جمال الدين-: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م وطبعة بيروت سنة ١٩٧٩م.

- حسن البنا: [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا] طبعة القاهرة- دار الشهاب- بدون تاريخ.

[مذكرات الدعوة والداعية] طبعة القاهرة- دار الشهاب- بدون تاريخ.

- الزركلي- خير الدين-: [الأعلام] طبعة بيروت- الثالثة-.

- محمد عبده: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م وطبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

- محمد عبد الجواد: [تقويم دار العلوم] المجلد الأول، طبعة القاهرة سنة ١٤١٠هـ سنة ١٩٩٠م.

- د. محمد عمارة: [الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري) طبعة القاهرة- دار الشروق سنة ١٩٩١م.

[الثوابت والمتغيرات في اليقظة الإسلامية الحديثة] طبعة القاهرة- دار نهضة مصر سنة ١٩٩٧.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
١- بطاقة حياة ...	٣
٢- التأسيس لليقظة الإسلامية الحديثة ...	١٩
٣- تصاعد التحدي، وعموم البلوى ...	٢٩
٤- الجامعة الإسلامية في طور جديد ...	٣٥
٥- من معالم التجديد في مشروعه الحضاري ...	٣٩
١- التحرر من المؤسسات الدينية التقليدية ...	٣٩
٢- الجمع بين "النظر العقلي، والنظر الشرعي" ...	٤١
٣- مرونة الشريعة، والانفتاح على الحكمة الإنسانية ...	٤٤
٤- إسلامية النظام السياسي الدستوري ...	٤٦
٥- رفض التغريب، ونقد الحضارة المادية الغربية ...	٤٨
٦- التمييز بين المقدس المعصوم، وبين التراث الفكري	٥
٧- النقد لتاريخ الدولة، ومناهج الفكر في التاريخ الإسلامي	٥٣
٨- الاستقلال الحضاري الشامل، وسيادة الأمة ...	٥٤
٩- تكامل دوائر الانتماء الوطني، والقومي، والإسلامي، والإنساني	٥٦
١٠- رفض التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله	٦١
١١- في العدل الاجتماعي فقه الواقع، ومشروع الإصلاح	٦٢
١٢- سنة التدرج في الإصلاح	٦٨
١٣- القوة، والثورة ...	٧٢
المصادر والمراجع	٧٧
الفهرس ...	٧٩

هذا الكتاب

عن معالم المشروع الحضاري الإسلامي في فكر الإمام الشهيد حسن البنا. والذى بدأ على يد الإمام جمال الدين الأفغاني. حركة تجديد واجتهاد وإحياء تستهدف تحرير العقل المسلم من أغلال الجمود والتقليد ؛ ليتمكن من مواجهة التحدي الحضاري الغربي. الذى اقتحم حياتنا الفكرية وواقعنا الإسلامي.

ثم واصل الشيخ محمد عبده على هذا الطريق. بإلحاح على تزكية شعار الإصلاح بالإسلام.

ثم كانت مدرسة المنار التى قادها الشيخ محمد رشيد رضا. الذى وضع الأسس والمعالم للمشروع الحضاري الإسلامي.

ثم حدثت هذه الأحداث الدامية التى هزت كيان الأمة فى ذلك الوقت. وزلزلت وجدان الإسلاميين. فاستنفرتهم للمقاومة. فكانت اللحظة التاريخية التي مثلت التطور النوعي لإنجاز الإمام الشهيد حسن البنا في سياق تطور المشروع الإسلامي للنهضة الحضارية. وتجديد دين الإسلام.

وتلك هى بصمة الإمام الشهيد حسن البنا المتميزة فى ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة.

نسأل الله ان ينفع به أبناء أمتنا الإسلامية

وهو الهادى. والموفق الى صراطه المستقيم

الناشر

دار التوزيع والنشر الإسلامية

١٥١ ش بور سعيد ت: ٢٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٢٣٩٢١٧٥

email info@eldaawa.com www.eldaawa.com